ذكرى

دنيا طارق

اسم الكتاب : ذكرى
اسم الكاتب دنيا طارق
رقم الإيداع : ٢٠١٦/٢٣٥٤١
الترقيم الدولي: ٩٧٨٩٧٧٦٥٢٧٨٥٠
الطبعة الأولى : ٢٠١٧- الطبعة الثانية :٢٠١٨
مراجعة لغوية ، إخراج داخلي : زحمة كتاب
صادر عن : مؤسسة زحمة كتاب للثقافة والنشر
١٥ ش السباق – مول المريلاند – مصر الجديدة

www.za7ma-kotab.com

دار زحمة كتاب للنشر

za7ma-kotab@hotmail.com

٠١٢٠٥١٠٠٥٩٦

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
لمؤسسة زحمة كتاب
المشهرة قانونًا بسجل تجاريّ رقم / ٨٤٤٨٦
عضوية اتحاد ناشرين رقم ٨٢٢

مؤسسة زحمة كتاب للثقافة والنشر

مش مقدمة

"ذكرى" .. أول انتصار ليا .. حتى لو مافيش حد قراها فأكيد هيجي يوم وهيغطيها التراب وفي حد هيبقى عنده الفضول يعرف ليه ماحدش اشتراها وسابوها لحد ما اتنست، وهيقراها وساعتها هابقى انتصرت برضو.. بأتمنى أوصل هدفي منها، تجربتي الأولى وأتمنى ماتبقاش الأخيرة .

بعض الأجزاء واقعية وحدثت بالفعل

- الطبعة الأولى خلصت والّي في إيدكوا دلوقتي الطبعة التانية وده معناه إني انتصاري اتحقق ومكمل وعدد مش صغير قرأ أول عمل ليا..ممنونة لذكرى على كل حاجة عملتها لي وعلّمتها لي .

تمسكوا بمن أحببتم وإلا ستندمون.

الفصل الأول
(طابق عالي)

نام الجميع وما زالت هي مستيقظة، فقررت أن تستغل الهدوء وتصفي ذهنها، فتحت النافذة كعادتها، بمجرد رؤيتها للسماء، نور القمر، النجوم، قلة الناس في الطريق، وصغر حجمهم لارتفاع البناية والبيوت المظلمة، وجدت نفسها تفكر في كل شيء. ماذا عن تلك البيوت؟! بداخل كل منها من نام متعبًا ومن نام سعيدًا أو باكيًا.

ماذا عن الساهرين ؟ هل هم ساهرون رغبة في ذلك أم لا ؟

تلك الأسئلة لم تجد لها إجابة واضحة .. فهي تؤمن بأن داخل كل منهم حكاية أو ربما أكثر .

لأول مرة تُحب طابقها العالي، فمنه ترى كل شيء أمامها ضئيلًا .. ضئيلًا جدًّا، لكنها ترى الكثير، لأول مرة تشعر بطيب الهواء، فتأكدت أن الحياة أقل من أن تعيشها مهمومة .

نحن كثيرون في هذه الدنيا، بداخل كل منا ما لا يعلمه سوانا والله. فمعظمنا يتألم إن لم يكن جميعنا.

استيقظت هذا اليوم باكرًا على غير العادة، كان لديَّها شعور بالرضا لم تشعر به منذ زمن، مرت عليها مدة لم

تشعر بها سوى بالألم، كل شيء ضدها، كل شيء عكس ترتيبيها وعكس رغبتيها، لكن الله لا يُقدر لأحد شرًّا قط.
تأهبت للذهاب لعملها، وبداخلها أماني أن يمر هذا اليوم على خير! ستقوم بكل ما في وسعها ليحدث هذا .. وإذا لم يحدث فتكفي محاولتها .
دخلت الشركة التي تعمل بها لتجد جميع الموظفين على مقاعدهم وقد بدأوا في أداء مهامهم، وعلمت أن مديرها يريد مقابلتها في مكتبه .. هذا أمر، ولا يوجد لديها أيَّ اختيار، عليها أن تذهب على كل حال .
وصلت مكتبه، ووجدته منشغلًا في جريدته، عيناه منصبتان عليها لا تنحرف يمينًا ولا يسارًا، كأنها عينا تمثال، أغلقت الباب بعنف ليسمع صوته؛ ليعلم أنها هنا، فهى لن تستطع بدء الحوار. فعلت ذلك ليبدأه هو، لكن يبدو أن ما فعلته سيعرضها للجزاء، أو ربما لخسارة عملها كله، بمجرد سماعه لصوت الباب وجدته ينظر إليها وكاد ينفجر غضبًا!

- متأخره ليه يا سميحه؟
- أنا آسفه يا فندم.
- ماجاوبتيش على السؤال.
- الطريق زحمه يافندم .. بكرر اعتذاري.

- حد قالك أنا عايزك في أيه؟
- لا. الحقيقه ماحدش قالي.
- تمام .. إنتي طبعًا عارفه إننا عندنا مؤتمر الشهر الجاي في لبنان.
- آه عارفه.
- وإنتي من أحسن الموظفين هنا وأولى الناس عشان تروحي

ارتسمت ابتسامة على وجهها كأنها لم تبتسم من قبل.

- ده شيء يشرفني.
- بس للأسف في مشكله!

عاد وجهها ينكمش مرة أخرى.

- مشكلة إيه؟
- لازم الموظفين اللي هيحضروا المؤتمر يحضروا مع أزواجهم .. إنتي عارفه إن الفكرة الأساسية للمؤتمر خاصه بالأسره.
- آه عارفه بس أنا مش متجوزه.
- مش إنتي مخطوبه؟
- كنت.
- يعني أشيل اسمك من قايمة الموظفين المرشحين للحضور؟

لم تتردد وجاوبته بلهفة:

- لا يافندم .. هحضر إن شاء الله.

- طيب ياريت تتصرفي ولو ماعرفتيش قوليلي عشان أشوف حد يحضر مكانك.
- هحضر إن شاء الله.
- ماشي روحي على شغلك دلوقتي.
- تمام بعد إذن حضرتك.
- إتفضلي.

خرجت من مكتبه وهى تتمنى أن تكون حياتها كشريط الفيديو تستطيع إيقافه في لحظة ما. توقفه عند استيقاظها! لماذا؟! لم تتخيل أن تكون بداية يومها كهذه، لا تعلم كيف يجب أن تكون حالتها بعد هذا الخبر! استوقفتها (نجلاء) زميلتها في العمل :

- إيه يابنتي؟ إنتي إترفدتي ولّا إيه؟
- ياشيخه فال الله ولا فالك.
- أمال مالك قلبتي وشك ليه؟
- أستاذ مدحت كتبني ف قايمة المرشحين للمؤتمر.
- طب دي حاجه المفروض تفرحك.
- المفروض. بس الحلو مايكملش.
- مش فاهمه!
- لازم أكون متجوزه.

رن صوت قهقهة الأولى في أذن الثانية، كادت أن تخنقها وتصدم رأسها بالمكتب.

- أنا آسفه يا سميحه.. إنتي فقريه أوي بصراحه. يعني بعد ما تفسخي خطوبتك بشهرين يجيلك عرض زي ده؟!

نظرتها كانت كافية لترد على سخافتها، ففضلت أن تصمت.

- خلاص ياستي.. ماتكشريش كده.. مش آخر مؤتمر يعني.
- إنتي عارفه أنا كان نفسي أحضر المؤتمر ده أزاي .. بس برضو مش هفوته عليا لإنها فعلًا فرصه ماتتعوضش.
- هتعملي إيه يا مجنونه؟
- هتصرف.
- ربنا يهديكي يا سميحه.
- ركزي ف شغلك طيب.

.....

أنهيت عملها، لكن تفكيرها في المؤتمر لم ينتهِ بعد. تتخيل نفسها تشرح لجميع الحضور كل الأبحاث التي قامت بها، وكل المشاريع التي سهرت ليالي طويلة لتكملها. ترى نفسها تحمل درع الموظفة المثالية، وتبتسم للجميع في فخر. ياتُرى ستظل أحلامًا وخيالًا أم ستكون لديها فرصة لتحقيق ذلك؟!

خرجت من مقر عملها وسارت في الطرق تنظر في وجوه الناس. كم تحب النظر في وجوههم لتشعر بما بين أعينهم من أسى فترضى بقضائها! تؤمن بأن حالها أفضل. سيطر المستقبل على تفكيرها ، لكن أفلت منها زمام الماضي، تدور الذكريات برأسها ولا تستطيع أن توقفها، تتذكر إنهاء علاقتها بالشخص الوحيد الذي أحببته وتعلقت به، تتذكر تركه لها في منتصف الطريق وحدها دون سند. لا تظن أنها مستعدة للدخول في تجربة أخرى، حتى وإن كانت مؤقتة. كيف تحل مشكلتها؟! هل تطلب منه أن تعيد الخطبة ويتمان الزواج حتى تحصل على المكانة التي تريدها في عملها لكن تخسر مكانتها في الحياة ككل؟! تخسر نفسها كي تكون أدق! أم تخسر فرصة المؤتمر وتدعو الله أن يقدم لها فرصة أفضل أو مثلها على الأقل؟!

صادفت مسجدًا وهي تسير، فقررت أن تدخل. لم تعتد الصلاة في المساجد، أو ربما تكون مقصرة كثيرًا بأمر الصلاة عامة. وبعد أن أنهيت صلاتها، وجدت امرأة عجوزًا تجلس عند زاوية تقرأ في مصحف فسألتها :

- هي المصاحف فين؟
- هناك في المكتبه الصغيره دي.
- شكرًا.

- مالك يابنتي؟

بدت على وجهي علامة استفهام!

- إنتي أول مرة تيجي المسجد؟

- بصراحه آه.

- مافيش أحلى من القرب من ربنا واستخارته في كل شيء .. إتمسكي بأي علامة تجيلك من ربنا يابنتي.

لم تفهم ما روته، لكنها شعرت براحة تجاه حديثها .. قرأت في المصحف، وكانت تحاول أن تكون في كامل تركيزها .. كانت تقرأ سورة يس .. وجدت قلبها يرتجف حين قرأت :

[بسم الله الرحمن الرحيم]

{ إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون (٨٢) فسُبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه تُرجعون (٨٣) } * سورة يس*

[صدق الله العظيم]

عادت إلى حيث تعيش، تقيم في سكن جماعي، أتت هي واثنتان من قرية صغيرة إلى القاهرة لتجدن فرصة عمل مناسبة لطموحاتهن التي تهدمها المحافظة التي ترعرعن فيها لقلة إمكانياتها .. تأقلمن على العيش معًا وأصبحن مقربين لبعض ..

دخلت السكن لتجد واحدة منهما جالسة على الأرض، تضع أمامها مجموعة من الصحف والمجلات ليست بالقليلة. أهل الصحف تطاردها اليوم؟!

- إيه اللي مقعدك على الأرض كده؟
- بدور على شغل.
- ليه يا مروه إنتي مش مرتاحه ف شغلك؟
- لا يابنتي ده مش ليا .. ابن خالي من البلد بيدور على شغل ومش لاقي، وبصراحه هو شاطر أوي وطالع ترتيب على دفعته بس مش لاقي فرصه .. ده غير إنه بيصرف على مامته وإخواته من بعد ما خالي مات فبحاول أساعده.

وجدت لسانها يسأل بدون تردد:

- هو متجوز أو خاطب؟
- لأ. بيحب واحده ولسه ماتقدملهاش عشان ظروفه .. ليه؟

***

في واحدة من المناطق السكنية الجديدة التي تم تعميرها في فترة قصيرة وقد أحاطت الحدائق الصغيرة بالمباني التي تم بيع أغلب الشقق فيها، ورغم الهدوء المُسيطر على تلك المنطقة، إلا أنها مليئة بالحياة والبهجة؛ لما تحويه من زهور زُرعت على الشرفات، وأشجار عليت على جوانب الطرق، وفرحة السكان بمنازلهم الجديدة

..... وفي داخل شقة من ذوات الطوابق العليا، ارتفع صوت رقيق ينادي.....

- يا مريم تعالي بقى أنا تعبت من حاجتك اللي مابتخلصش دي.
- لأ. سيبي الحاجه دي دلوقتي .. أنا عملت كوبايتين شاي نشربهم مع كيكة خالتك ف البلكونه.
- طيب قشطه.

* في البلكونه (١٠ مساءً) *

- بجد أحسن حاجه إن خالتو أقنعت ماما نيجي نسكن جنبكوا هنا .. المكان حلو أوي وكمان هنبقى قريبين من بعض.
- الأهم من كل ده عملتي إيه ف موضوع الجامعه؟
- سحبت ورقي وهحول ف الجامعه هنا.
- هتضيعي ٣ سنين عليكي؟!
- مانتي عارفه إني ماليش ف الجغرافيا ودخلتها عشان أبقى مع صحابي .. بس بما إني جيت هنا ومش هيبقوا معايا فهدخل حاجه بحبها.
- ماشي يامتر.
- نقي بقى .. شكل حقوق مش هتقبلني بسببك.

وتقطع حديثهما والدة مريم (مايسة)، ووالدة نور (ماجدة):

- إنتوا مابتزهقوش من الرغي؟

نور وهي تضحك :

- ليه كده يا خالتو ده أنا بحبك.

- طب يلا يانور نروح بقى عشان كده هنتأخر أوي.

- لا يا خالتو باتوا معانا النهارده عشان عايزه نور تيجي معايا بكرا مشوار .. وكمان تعرفني على المكان هنا.

- خلاص يا ماجده خليكوا النهارده وبالمره نروح البنك سوا بكرا.

- ماشي موافقه.

ظهرت السعادة على وجهي كل من مريم ونور بسبب موافقة والدة نور على البقاء معهم، ودخلا معًا غرفة مريم التي لم تُوضع أغراضها في أماكنها المناسبة بعد، وجلستا على الفراش.

- إيه حكاية مشوار بكرا ده؟

- يا بايخه كنت عارفه إنك هتسألي وهتفتحي تحقيق.

- إنجزي يا ماما إحنا بنام بدري.

- بصي يا ستي ..أنا الكام مره اللي جيت فيهم مع ماما ننقل الحاجه شوفت جارنا في نفس الشارع هنا وشكله محترم وذوق كده ... وبصراحه كده شكل السناره غمزت.

- غمزت إمتى إن شاء الله؟

- يا بنتي ماهي مامته جت عندنا إمبارح تتعرف على ماما وهو جه يوصلها.

- قولي كده بقى.

- المهم يعني أنا عرفت إنه بيشتغل في صيدليه هنا وحابه أروح أفتح معاه أي كلام

وحاولت مريم أن تغير من جدية حديثهما، فأمسكت بالوسادة كأنها تحتضنها وأكملت:

-يمكن يبقى هو ده فارس أحلامي!

فغطت نور وجهها وقالت :

- طب يا أم فارس أحلامك انتي إطفي النور عشان ننام .. أنا كده سهرت أوي.
- قومي يا ماما بصي الأوضه متبهدله إزاي.
- ولا اعرفك .. إنتي سيباني أعمل فيها من الصبح .. اعتبريني نمت أصلًا.

استسلمت مريم للنوم، وألقت بنفسها بجانب نور لتبقى طوال الليل تفكر في فارس الأحلام.

اليوم التالي (الـ ٩ صباحًا)

في غرفة مريم..

- يانور قومي بقى بقالي ساعة بحاول أصحيكي.

نور تفتح عينيها وتفركهما.

- خلاص صحيت أهو..

- طيب أنا حضرت الفطار وماما وخالتو فطروا ونزلوا .. قومي بقى عشان نفطر ونروح مشوارنا..

وبينما مريم في طريقها للخروج من الغرفة، نادت نور، فتوقفت مريم لتسمع ما تريد.

- نسيت أقولك إنه كان يوم إسود يوم ماخالتو خلفتك.

ضحكت مريم وخرجت من الغرفة.

*(الـ ١٠ والنصف صباحًا) أمام المبنى *

- ده لو جاي يتجوزك مش هتلبسي الطقم ده .. أنا عارفاكي بتلبسي الطقم ده في المناسبات الخاصة بس.

- طب يلا ياظريفة .. أنا عارفه إني مش هخلص منك النهارده.

وتوقفت نور أثناء سيرهما..

- بصي يا مريم .. الفستان ده شكله عسول أوي أنا عايزه أقيسه.

- يا نور مش وقته بقى .. تعالي نروح الصيدلية الأول واحنا راجعين نشوف الفستان وبعدين إحنا قربنا على الصيدليه.

- طب روحي انتي وأنا كده كده محرجه أروح معاكي .. هدخل أنا أشوف الفستان وانتي خلصي ونتقابل هنا.

- ماشي اتفقنا.

خرجت نور من محل الملابس بعد ربع ساعة ولم تجد مريم، وحاولت الاتصال بها، لكن دون رد. فقررت أن تذهب لتجد الصيدلية، ولم تسر أكثر من خمس دقائق لتجد صيدلية على يمينها، ونظرت بداخلها لتجد مريم، فدخلت ووضعت يدها على كتف مريم.

- يا بنتي اتأخرتي ومش بتردي على الموبايل بتاعك ليه؟

نظرت لها مريم، وأمسكت بيدها لتفهم نور ألا تحرجها أكثر من ذلك، وبدأت مريم تتحدث:

- طب أعرفكوا على بعض بقى.

وقبل أن تنهي مريم جملتها، جاء صوت لم يكن بالصوت اللين أو الغليظ، بل كان ذكوريًّا، لكنه حنون جدًا.

- إنتي نور .. صح؟

لم تكن نور رأت وجه الشاب بعد، فهي لم تكن مهتمة مطلقًا، لكن حين سمعت اسمها نظرت له وفجأة تغير لون وجهها! مريم وهي متعجبة من الموقف:

- إيه ده! إنتوا تعرفوا بعض؟!

- بدأت نور تستوعب الموقف.

- آه ... ده محمد أخو سلمى صاحبتي ف الكليه.

- مريم مستغلة الموقف:

- بجد! ... إيه الصدف الحلوه دي! .. أنا لازم اتعرف على سلمى بقى، وكمان أنا بقيت معاهم ف نفس الجامعه.

حاول محمد أن يجد ردًّا ذوقيًّا.

- آه طبعًا ده شيء يشرفنا.

نوروكان صوتها يرتعش :

- طب يلّا يا مريم بقى عشان هنتأخر.

لم تفهم مريم تغير حال نور فجأة، لكنها كانت سعيدة بتلك الصدفة التي ستقربها من محمد وأسرته.

- فرصه سعيدة جدًّا يا محمد ومعلش عطلناك.

- لأ طبعًا .. إحنا جيران ما تقوليش كده .. نورتوني.

مريم بابتسامة:

- ميرسي جدًّا مع السلامه.

- مع السلامه ..

ثم نظر لنور التي كانت تنظر له، لكنها تبدو في عالم آخر ...

- مع السلامه يا نور.

بدأت نور تُعيد تركيزها حين سمعت اسمها ثانية:

- مع السلامه.

وسحبت نور مريم من يدها وخرجتا من الصيدلية.
ظلت مريم تتحدث منذ خروجهما من الصيدلية وحتى وصولهما غرفتها، لا تتوقف عن وصفها له وعن مدحها له، وتحكي كم باتت تحلم بمثله أيامًا وأيامًا! ... لكن نور لم تنطق بكلمة.... هي حتى الآن لا تفهم كيف يحدث كل هذا فجأة! ... وماذا يمكنها أن تفعل؟!

- مالك يا نور؟ إنتي مودك اتغير فجأة ليه؟ إنتي ماجبتيش الفستان اللي عجبك ولّا إيه؟

ونور لا تجيب، فلوحت مريم بيدها لتلفت انتباهها:

- هاي نحن هنا.

- ها ... بتقولي إيه يا مريم؟!

- ده انتي ف دنيا تانيه خالص .. أنا هقوم آخد دش.

- طب انا هاخد ماما واروح بقى.

- ليه يا نور بقى؟ أنا مبسوطه إننا قاعدين سوا.

- معلش يامريم .. أصلي سايبه العصافير هناك وخايفه يموتوا.

- طب خلاص زي ماتحبي.

ابتسمت نور لمريم، وكادت مريم تصفعها على وجهها لتعيد لها وعيها، فلأول مره ترى نور غير متزنة بهذه الطريقة.

(١٢ بعد منتصف الليل)

محمد جالس على مكتبه داخل غرفته التي يسميها معظم الوقت مملكته، يكتب خواطره كعادته، وأحيانًا يكتب يومياته ومذكراته إذا كانت تستحق التدوين، وبينما هو منهمك في ذلك، يسمع طرقات الباب:

- ادخلي يا سلمى.

تدخل سلمى فور سماعها ذلك.

- يابن اللذينه! عرفت منين إن أنا اللي بخبط عليك؟!

- ما أكيد ماما نايمه من بدري وبابا هيبات ف شغله النهارده .. يبقى أكيد مافيش غيرك يقرفني.

- إيه الرخامه دي! بقى انا جايه أرغي معاك تقولي اقرفك!

- محمد يضحك ويرد: أحلى قرف.

- ثبتني كمان ... المهم بقي .. مالك كده مش متظبط النهارده؟ ... في جديد أنا ماعرفوش؟

- بصراحه آه ... شوفتها النهارده.

- إحلف.

- والله جاتلي الصيدليه النهارده وكنت مصدوم .. بس حسيت إني مبسوط إني شوفتها.

- يا سيدي يا سيدي! .. إوعدنا يا رب.

- يلّا يا لمضه ... ها .. جايه عايزه إيه؟ مانتي أكيد مش جايه عشاني.

سلمى بأسلوبها المرح:

- بغض النظر عن رخامتك يعني. بس أنا فعلًا جايه عشان حاجه تانيه ... أنا جايه أتكلم معاك ف موضوع ماما وبابا.

- إرغي..

- ماما عايزه تطلق خلاص يا محمد وبصراحه أنا موافقاها.

- وأنا موافقكوا بس مش شايف إن ده الحل الأمثل.

- أمثل بقى ولّا لأ .. مش مهم .. المهم ماما ترتاح شويه لإنها فعلًا تعبانه أوي.

محمد يأخذ نفسًا عميقًا ثم:

- طيب أنا هتكلم معاها الصبح .. روحي انتي نامي وربنا يكرمنا.

سلمى تقف ثم تضع قبلة على جبين محمد وتخرج لتنام في غرفتها، وينهي محمد كتابته ويذهب ليخلد في نوم عميق دون تفكير في الغد وما سيحمله له، فهو الآن واثق أن الله سيقدر له الخير.

مريم تقف أمام المرآة، وتضع الكثير من مستحضرات التجميل، وتدخل عليها والدتها وتبدو عليها علامات التعجب حين رأت وجه مريم في المرآة، فهي لم تعتد على أن تراها كذلك!

- إيه الجمال ده ... بس غريبه يعني!

- لا .. إتعودي بقى عشان الفتره اللي الجايه هبقى على طول حلوه.

ثم تدور مريم حول نفسها كالأميرات، وتمسك بيد والدتها وتحركها كأنها ترقص معها مثل سندريلا والأمير وتردد:

- أخيرًا لقيته يا ماما أخيرًا.

مايسه (سعيده لفرحة ابنتها لكنها لا تفهم) :

- هو مين ده؟!

- قريب قريب هتعرفي مين بس ادعيلي.

- ربنا يرزقك يا بنتي يا رب.

- يارب يا ماما.

- أنا هروح انام ماتنسيش تقفلي الشبابيك كويس قبل ماتنامي يا حبيبتي.

- عنيا يا ست الكل.

وتخرج مايسة من غرفة مريم سعيدة لما رأته من فرحة في عين ابنتها الوحيدة، لكنها غير مطمئنة!

أغلقت مريم الشبابيك، لكن تركت شباك غرفتها ووقفت أمامه، ظلت تفكر لماذا رأته الآن؟.. أهي صدفة أم قدر؟! حتى الصدف تكون أقدارًا، لكن قدرها ماذا يحمل؟!

تنتهي نور من صلاة الفجر، وترفع يديها للسماء وتدعو:

- يا رب إنت عالم بحالي. قدرلي الخير وقربهولي. يا رب لو ليهم خير ف بعض قربهم من بعض ولو مالهمش خير ف بعض خلي مريم تنساه .. يا رب أنا مش عارفه قدري إيه .. يا رب ارضيني.

وكادت تدمع، لكنها سمعت وقع قدمي والدتها تقترب من الغرفة، فقامت نور لتجد أمها تفتح الباب وتبدأ تحقيقها الذي اعتادت نور أن تشبهه بتحقيقات فريق المخابرات الإسرائيلي كنوع من أنواع الدعابة..

- حرمًا.

- جمعًا إن شاء الله .... في حاجه يا ماما؟

- أنا اللي المفروض أسأل.

نظرت لها نور كأنها تقول: كنت عارفه إنه هيبقى تحقيق.

- مالك متشقلبه النهارده كده ليه ومش متظبطه؟

- لا عادي يا ماما.

- إنتي فاكره إني مش هعرف؟ ... لأ هعرف.

حاولت نور أن توقف هذا التحقيق قبل أن تفقد زمام الموقف:

- ماما أنا عايزه انام.

- إهربي من الكلام براحتك.

نور تذهب إلى فراشها وتأخذ وضع النوم وتغطي وجهها.

- تصبحي على خير يا ماما.

خرجت ماجدة من غرفة نور دون رد، لكن التحقيق ما زال مفتوحًا داخل رأسها، لكنها الآن هي السائل والمجيب.

بدأ العام الدراسي، واستقرت مريم مع نور وسلمى في الجامعة، وكان إعجابها بمحمد حافزًا لها لتهتم بدراستها. كونه صيدليًّا، فيجب أن تكون ذات مكانة مثله، خاصة أنها تعلم أنه قريب من سلمى وتحكي له عن يومياتها معها، فأرادت أن تكون سيرتها تبهره.
اعتاد محمد أن يقترح عليهن - إذا كان وقته يسمح - أن يأخذهن بسيارته المتواضعة إلى الجامعة، وكانت نور دائمًا تحاول الهرب، لكن مريم لا تسمح لها بذلك، وفكرت نور كثيرًا ألا تذهب إلى الجامعة، لكن إلى متى! ...فصرفت النظر عن الفكرة.

تنتظر نور خارج مبنى الكلية، وتنظر كثيرًا إلى ساعتها، حتى رأت مريم ممسكة بيد سلمى وتقتربان منها، وبما أن مريم مستجدة، وهذا أول اختبار لها؛ فكانت نور قلقة عليها، لكن حين رأتها مبتسمة اطمأنت بعض الشيء.

- شكلك مبسوط .. طمنينا عملتي إيه؟

- الإمتحان كان حلو الحمد لله .... إنتوا عملتوا إيه؟

- حلو بس سيبت حاجات ف الإختياري.

ردت عليها سلمى:

- هبله ١٠٠ مره قولتلها تفتي.

مريم ضحكت ثم ردت:

-يا سلمى الفتي ده اللي جايبنا ورا.. إنتوا تفتوا ف علم النفس قشطه، لكن أنا افتي ف حقوق هتحبس.

- طب ها طنط عاملالنا آكل إيه النهارده؟

تعجبت نور من سؤال سلمى، وظهر ذلك على نظراتهن لها فشرحت لها مريم ما يحدث.

- آه صح يا نور .. ده محمد وسلمى جايين النهارده عندنا ومامتهم وباباهم كمان.

وأكملت عليها سلمى:

- محمد زمانه جاي ياخدنا عشان يوصلنا أصلًا.

كانتا صدمتين أقوى من بعضهما بالنسبة لنور، وبدأت تتماسك:

-طب هسبق أنا عشان ماما بقى.

كالعادة مريم لديها مبرر لكل شيء.

-إستني يابنتي .. أصلًا خالتو مع ماما بتحضر الحاجه وهتتغدوا معانا كلنا.

وفجأة وصل محمد، وأشار لسلمى حتى يركبن معه.

ولم تجد نور مفرًّا فركبت، لكنها كانت تهرب من نظرات محمد ولا ترد على أي سؤال إلا بكلمة واحدة إذا أجابت، ولا تفتح أي حوار مع أحد منهم. حاول محمد كثيرًا أن يخلق مواضيع، لكنها تلتزم الصمت، وسلمى ومريم تجيبان.

وأمام منزل مريم، أخبرتها سلمى أنها ستبدل ملابسها، وسيأتون جميعًا إلى منزلها.

ظلت نور صامتة، حتى بعد وصولها منزل مريم، وطمأنت أمها وخالتها عن اختبارها وفرحتها باجتيازه، لكن وجهها لم يكن يبدو عليه ذلك أبدًا، وساعدتهما نور، لكن مريم كانت في غرفتها تقوم بكل المحاولات لتبدو في أحلى صورة لها أمام محمد وأهله.

حتى وصلت عائلة محمد الصغيرة، وجلس الجميع في غرفة السفرة يتحدثون عن أولادهم ويمدحون مذاق الطعام، وأنه يبدو كطعام شيفات أفخم المطاعم، وحين انتهوا، طلبت مايسة أن يجتمعوا في غرفة الصالون.

وما زالت نور تتحرك بدون كلام، وترد على كلامهم بردود بسيطة لتمر من تلك الأسئلة بأقل خسائر.

وكانت سلمى دائمًا تحاول أن تنشر مرحها، محاولة تخفيف جدية ما سيحدث بعد قليل، حتى غير والدها الموضوع وقال:

-قبل ما الوقت يجري مننا يا جماعه إحنا جايين عشان موضوع مهم ونتمنى ماتكسفوناش.

نظرت نور لمريم، وجدتها مبتسمة، وكادت تقول موافقة قبل أن تسمع الطلب.

فأكمل:

-إحنا جايين نطلب إيد نور لابننا محمد.

وكانت الصدمة الكبرى! ظنون نور كانت صحيحة .. نظر الجميع لبعضهم دون فهم!

حاولت ماجدة أن تجمع الأحداث تغير حال نور، بُعدها عن مريم، مريم معجبة بابن الجيران دون ذكر اسمه، مريم تهتم بنفسها على غير العادة، رغبتهم في اجتماع الجميع فجأة! فحاولت أن تنهي الموقف:

- ربنا يقدم اللي فيه الخير يا جماعه إن شاء الله.

أدركت والدة محمد أن ماجدة حاولت أن تجد ردًّا مناسبًا، ولم تجد سوى ذلك، فهي أم تشعر بتلك المواقف وما وراء الردود الباردة، فطلبت من زوجها أن يرحلوا. ورحلوا بالفعل.

لكن قبل خروجهم، نظرت نور لمحمد، وجدت عينيه تتحدثان، كأنما تقولان لها لا تتركيني! ... تنظر لمريم تجدها حابسة دموعها.

تدعو نور بداخلها أن يمر ذلك الموقف على خير، وكادت هي أيضا تنهمر دموعها، لكنها تماسكت، فهي حتى الآن لا تعرف. ما حدث معها أم ضدها؟! بدون تردد أخذت ماجدة ابنتها وغادرت بها إلى المنزل دون أن تنطق بكلمة مع أختها التي اعتادت أن تبوح لها بكل شيء كما اعتادت أختها أيضًا. لكن الآن لا يبدو ذلك جيدًا أبدًا ....

دخلت مريم غرفتها لتبدل ملابسها، وقررت أن تفهم كيف حدث ذلك، فأمسكت هاتفها واختارت أحد الأسماء المسجلة به وضغطت زر الاتصال ....

*في منزل محمد *

دخل الجميع المنزل، لا أحد يفهم شيئًا. والده كان سعيدًا أنه هكذا سيطمئن عليه، فهو ابنه الأكبر والوحيد، وسيتمكن من ترك والدته استجابة لطلبها غير المباشر، لكن يبدو أن الأمر ازداد تعقيدًا.. أمه يخفق قلبها سريعًا، تشعر بشعور غريب تجاه رد ماجدة، فهي ربت ابنها وضحت من أجل أبنائها كثيرًا، وكانت تدمع فرحًا حين ترى نتيجة تربيتها لهم، وأرادت أن تكتمل فرحتها بزواج ابنها الأكبر، لكنها تدعو الله أن يرضيه وأن يقرب له الخير، وطلبت من زوجها ألا يتحدث مع محمد بشأن زواجه من نور حتى تستقر الأمور ووافقها.

طلب محمد من سلمى أن تدخل معه غرفته، ربما كان هروبًا من والديه، فهو وضعهما في موقف محرج للغاية، أو ربما ليبحث معها عن حل لمشكلة لا يعلمها من الأساس:

- أنا مش فاهم حاجه! معقوله هي مش حاسه إني معجب بيها يا سلمى؟! طب ازاي؟!. دي نظراتها كانت باينه أوي ... أنا كنت حابب أقرب منها والناس كلها عارفه اني بحبها .. مش عايز أقرب منها واحنا مستخبين ... كنت فاكر هروبها مني ده

عشان خايفه من الناس ومن مامتها وعشان ماينفعش اصلًا .... بس .... أنا مش فاهم حاجه! ... مش انتي قريبه منها؟ المفروض تبقى عارفه هي عايزاني ولا لأ ياسلمى!

تركت سلمى محمد ينتهي من كلامه كعادتها، فهي تعلم أنه يستشيط غضبًا حين يقاطعه أحد، وبدأت تبحث عن كلامات مناسبة.

- محمد .. أنا صاحبتهم آه .. لكن أنا مش قريبه منهم زي مانت فاكر.

محمد وهو ينظر لها نظرة تعجب:

-مين منهم؟!

- نور ومريم.

- إيه دخل مريم دلوقتي؟

- معقوله انت كل ده مش حاسس!... أنا كنت عارفه إن نور معجبه بيك وده كان بيبان من كلامها أوي عشان كده شجعتك ف الأول .. لكن من ساعة ما مريم بنت خالتها جت عندنا الجامعه وبقت وسطينا ونور متغيره .. مش هقولك إنها قريبه من مريم وبعدت عني عشانها ..لا .. نور بعيده عننا إحنا الاتنين وبتقفل أي كلام عنك والكلام اتبدل .. بقت مريم هي اللي بتتكلم عنك ومهتمه ... بصراحه أنا مش عارفه أقولك إيه .. بس ده مجرد إحساس ويارب يبقى غلط.

- وإيه هو إحساسك ده؟

- إن مريم بتحبك ونور بتبعد عشان ماتخسرهاش.

- بس أنا مابحبهاش.

- بس هي فاكراك بتحبها.

- طب أنا ذنبي إيه ياسلمى؟ أنا ماعملتش حاجه تحسسها إني بحبها .. أنا كنت بوصلكوا عشان أقرب من نور مش منها .. أنا بحب نور مابحبهاش هي.

ضمته سلمى، وبدأت تبثه بعض الأمان. هي بجانبه بكل الأحوال، ولن تتركه، وستبحث معه عن سعادته.

- أنا عايز رقم نور.

- هتعمل إيه؟

- هفهمك بس بعدين.

- طيب ثواني هجيب الموبايل واجيلك.

.....

* في منزل نور*

- ممكن تفهميني إيه اللي حصل ده؟!

نور وهي تحاول أن تبدو متماسكة:

-أنا مش فاهمه أي حاجه زيك!

- طيب أنا عديت الموقف أودام الناس .. لكن أنا مش هخسر اختي عشان سي محمد بتاعكوا ده.

- يعني إيه؟

- زي مافهمتي يا نور ... قولتلك مليون مره كلهم خاينين .. هيعمل زي ما ابوكي عمل ويسيبك ويمشي ... مش هخسر اختي عشان أي حد يا نور. ونصيحة مني ما تخسريش مريم.

- وانتي هتخسريهم ليه أصلًا ياماما؟ وأنا هخسر مريم ليه؟

- إنتي أكيد عارفه إن مايسه ومريم فاكرينه جاي يتقدم لمريم وعارفه إن مريم بتحبه .. بلاش تستعبطي.

بدأت نور في البكاء:

-والله ماكنت اعرف إنه جاي أصلًا والله ماكنتش عارفه حاجه وكنت ببعد عنه ... وبعدين إنتي ليه فاكراهم كلهم زي بعض؟ أنا ذنبي إيه إنك اختارتي غلط ؟!

ماجدة وصوتها يعلو:

- مش هسيبك انتي كمان تختاري غلط.

انفجرت نور في البكاء، ودخلت غرفتها لتجد هاتفها يرن داخل حقيبتها، وردت بعد أن كفكفت دموعها، وحاولت أن يبدو صوتها طبيعيًّا:

- أيوه يا مريم..

ولم تكمل نور جملتها لتجد صوتًا عاليًا مخلوطًا بالبكاء:

- إسمعي يا نور .. أنا وانتي عارفين كويس مين فينا اللي المفروض تتجوز محمد .. أنا ماعرفش إنتي ازاي عملتي كده!!

ولم تسمح مريم لنور بأي فرصة لتدافع عن نفسها:

- لو وافقتي إنك تتجوزي محمد يا نور هيبقى آخر يوم بيني وبينك.. سامعه؟

وأغلقت مريم الهاتف، ودخلت أمها الغرفة لتجدها تتنفس بصعوبة من شدة البكاء، فاحتضنتها أمها:

- ماتزعليش يا بنتي .. أكيد ربنا هيكتبلك الخير والخير مش راجل وبس وبلاش تاخدي حاجه مش بتاعتك.

- بس هو بتاعي ياماما.

- لو بتاعك ربنا هيكتبهولك .. يلَّا نامي وسيبيها على الله.

بعد انتهاء مكالمة مريم، التي لم تجد نور لها وصفًا سوى أنها مقارنة غير مُستحبة بالنسبة لها، فهي بالطبع ستختار مريم، لكن ذلك قبل أن تضع مريم نفسها في تلك المقارنة مع محمد، فهذا أوضح أن مريم إذا كانت في موقف نور كانت ستختار محمد.

قررت أن تتصل بسلمى لتفهم منها، لكن هاتفها لم يسمح لها بذلك، فمنذ بداية اليوم وهو يعمل، وجاء وقت راحته. وضعت نور هاتفها في الشاحن، وتوضأت لتصلي صلاة استخارة. ظلت تدعو الله أن يقرب لها الخير، فهي عبد ضعيف! .....

هي ما زالت تتألم من أبيها، رغم هجره لهم وتركها مع أمها وهي لم تكمل التاسعة ليتزوج من أخرى، وترك البلد كلها، وغالبًا نسي أنه له بنتًا. تدعو الله أن يرسل لها من يعوضها عن آلام قلبها، وتدعو إن كان محمد ذلك الرجل فليقربه منها، وأن يلين قلب أمها وألا يبعدها عن مريم في كل الأحوال. وأول ما فعلته حين فرغت من صلاتها، أمسكت بهاتفها وقررت تشغيله، وأول عمل قام به الهاتف، كان استقبال اتصال جديد. خافت نور أن

يكون كآخر اتصال، لكنها حتمًا سترد، وضغطت على زر الموافقة:

- آلو..

- أيوه يا نور أنا محمد.

ازداد خفقان قلب نور، وكادت تبكي، لا تعلم أمن الفرح أم من الخوف! لا تدري ما تقوله. راجية من الله أن يكون محتوى المكالمة يخفف عنها ذلك.

- آنا اسف إني بتصل بيكي وآسف إني أخدت رقمك من سلمى .. بس احنا لازم نتكلم.

- إنت ليه عملت كده يا محمد؟ ليه ماقولتليش؟ ليه حتى مالمحتش وكنا قررنا هنعمل إيه؟! ... أنا كده هخسر كل حاجه.

وعندما سمع صوتها كاد يبكي معها، رغم أن حديثهما منذ أن تعرفا لم يزدد عن خمس دقائق في المرة، لكنه يشعر بشعور مختلف تجاهها، ولا يريد أن يكون سببًا في هذا البكاء.

- طب ممكن تهدي؟ ..... فهميني بتعيطي ليه؟!

- بعيط ليه! .... أنا هخسر مريم يا محمد .. مريم قالتلي لو اتجوزنا مش هتكلمني تاني .. وماما موقفها غريب.

نور لم تعتد على أن تبوح بما داخلها لأحد أبدًا، لا تدري كيف قالت له ذلك! هي لم تعتد على أن تكون ضعيفة أمام أي إنسان مهما كان!

بدأ محمد يربط كلام سلمى بكلام نور، وبدأ يفهم الموقف:

- طب ممكن نتقابل لو ينفع عشان كلام التليفون ده هيصعب الموقف؟

جففت نور دموعها، وبدأت تشعر براحة فجأة. لا تعلم من أين أتت!

- هحاول وهعرفك.

- ماشي .... ماتخافيش.

ابتسمت نور، رغم ما يحمله قلبها من خوف وحزن!

نور: حاضر .. سلام.

وأغلقا الهاتف، وكل منهما يدور برأسه أفكار مشتتة، لا يميزان بين الصواب والخطأ، لكنهما يشعران أنهما خُلقا لبعضهما، وأن عليهما أن يتجاوزا تلك المرحلة معًا.

الفصل الثاني

(ازرع حبًّا تحصد سعادة)

لم تستوعب حتى الآن من أين أتتها تلك الجرأة! تحاول أن تنتقم أم تحاول إثبات ذاتها وتحقيق حلمها؟! لكن على كل حال، كان عليها أن تجد حلًّا .. وساعدتها مروة على ذلك، لكن سحر كان رأيها معاكسًا. رأت أن ما تفعله جنون، وأقسمت أن النتيجة لن تكون مُرضية لأحد، لكنها ستخوض التجربة، فهناك حلم ينتظرها .

دبرت مروة موعدًا معه .. "سالم" شاب ملامحه صعيدية، طويل ووسيم، وجهه مبهج جدًّا، ذو الثانية والعشرين عامًا. حاولت مروة أن تشرح له الموقف حتى لا تحرج سميحة، لكنه أراد أن يقابلها وجهًا لوجه ليفهم منها .. منها هي. اشترط أن تكون مروة معهم، كونها قريبته وصديقة سميحة في الوقت ذاته، ولم ترفض ذلك.. مروة ذوقية في كل المواقف، وفي أثناء مقابلتهم في أحد المطاعم في وسط البلد، اقترحت أن تجلس على طاولة بمفردها لتترك لهما حرية الحوار.

- مش هنقعد أكتر من ٣ شهور .. ولو الشغل عجبك تقدر تكمل هناك أو تيجي فرع الشركه هنا .. بس إنت خريج إيه؟
- تجارة.
- طيب تمام .. عامة الشركه بتشتغل في كل المجالات تقريبًا .. أنا مستنيه المؤتمر ده من سنين وشرطهم إن الموظفين يحضروا مع أزواجهم..

- معلش .. سيبيني يومين أفكر وأظبط أموري وأشوف هقول إيه لأهلي..

تحاول أن تقنعه، فهي أول مستفيدة.

- الفرصه دي مش هتتعوض ليك أنت كمان ..هنتجوز على الورق بس .. واحنا الاتنين هنستفيد من الشغل .. وياريت ماتعرفش حد والموضوع هيبقى كأنه ماحصلش.. أنا عارفة إن الموقف صعب.. بس كام شهر وهيعدوا.
- ربنا يسهل إن شاء الله .. هظبط أموري وهقول لمروه ترد عليكي.
- تمام .. بس ياريت ماتتأخرش عليا عشان أثبت اسمي في القايمه.
- بإذن الله.

انتهت المقابلة بسرعة. كان خجولًا، لم يرفع نظراته عن الأرض، يحادثنها بأدب جم، لن تقارنه بحبها الأول. لا، لم يكن الأول. الحب الأول هو الحب الأبدي، فالحب الذي تنتهي صلاحيته لا ينطبق عليه كلمة حب من الأساس .. نجاها الله منه، لكنها لم تنساه بعد، ما زال يأتي في بالها لحظات كثيرة، وأحيانًا لا تستطيع أن توقف تفكيريها فيه! مضيعة للوقت.

عليها أن تتقبل الوضع الجديد .. لا يوجد لديها خيار آخر وإلا ستخسر كل شيء. إن لم تكن خسرته فعلًا.

- إنتي مستوعبه انتي بتعملي ف نفسك إيه؟!
- أعمل إيه طيب يا سحر؟ ماعنديش حل تاني.
- لا أكيد في حلول تانيه .. إنتي اللي متربسه دماغك ومش شايفه غير الحل ده.
- قاصدك إيه؟
- إنتي فاهمه قصدي كويس.
- المفروض يعني أضيع فرصة مستنياها من زمان عشان خاطره؟ ماهو اللي باعني من غير ما أعمله حاجه. أنا اللي كنت بعافر دايمًا تعبت من المعافره .. أنا محتاجه اركز ف شغلي شويه .. سالم شكله محترم وهيقدر الاتفاق اللي بينا.
- ازاي تثقي ف واحد ماتعرفيش حاجه عنه؟!
- ماعرفش بقى يا سحر .. أهو اللي حصل وخلاص .. وبعدين مش يمكن مايوافقش أصلًا؟
- طب لو وافق وسافرتي .. هتقولي لأهلك إيه؟
- مش هجيب سيره لحد عن موضوع الجواز أصلًا وهحضر المؤتمر وهرجع على طول وأنا اتفقت معاه على ده .. لا أنا هقول لحد ولا هو هيعرّف حد .. إنتي ومروه بس اللي عارفين.
- إعملي اللي إنتي عايزاه .. أنا مهما اتكلمت معاكي هتنشفي دماغك برضو.
- سيبيها على الله ونامي بقى صدعتيني.
- فين الهبله التالته؟

- قاعده بره بتسمع الراديو.
- دماغ البت دي.
- طب يلّا نام وهي شويه وهتلاقيها جت تنام معانا.
- ماشي تصبحي على خير.
- وانتي من أهله.

نامت كل منهن، وهي تفكر في الغد. ماذا سيحمل لهن؟! خاصة سميحة؛ لم تتوقع كيف ستكون نتيجة كل هذا!.. أبعد كل تلك التخطيطات يرفض؟! يا أله! ..

بفستانها الأبيض تخرج من سيارة فارهة لتجده منتظرها، فتمسك بيده ويسيران معًا. وجهها مُضيء كالقمر رغم عتمته، مبتسمة. تجد مريم آتية بفستان أسود لتمسك بيده الأخرى. ينظر لكلتيهما ثم يقبض على كفيهما ويجذبهما للسير، تسمع نور صوت طفل رضيع يبكي ويصرخ، فتترك يد محمد وتسرع ناحية الطفل لتحمله وتحاول تهدئته، يبتسم لها الطفل ويغمض عينيه كأنه نام، أو ربما مات! فترتعش يدها؛ لتجد يدًا أخرى وُضعت على كتفها، فتنظر لتجد نسخة منها تدمع وتنظر لها في ضعف! نور مذعورة، وتحاول أن تنطق. هذه أنا؟! .. هذه أنا؟! تتحرك شبيهتها لتصل حيث يقف محمد ومريم، فتقف وسطهما ليحتضنها محمد، وتضع مريم يدها على رأسها لتطمئنها .. تشعر نور أنها تتراجع للوراء دون سيطرة منها، تحاول أن تصرخ لتنجو. لكن دون جدوى ..

****

وجاء موعد اللقاء ... اختارت نور أن يتقابلا في حديقة قريبة من مكان سكنهن، وطلب محمد أن يكون لقاؤهما باكرًا حتى لا يتأخر عن موعد عمله.

- ممكن نتكلم وتفهميني في إيه بالظبط ؟!... أنا عايز أسمعك.

نور مشتتة بين أن تبوح بكل شيء ليجدا حلًّا معًا، وبين أن تصمت وتنهي الموضوع قبل أن يبدأ.

ظلت صامتة بضع دقائق ثم.....

- إنت عملت كده ليه؟

- إنتي ليه بتحسسيني إني عملت جريمة وغلطت ف حقك؟ .. نور أنا طلبت إيدك من أهلك عشان أقرب منك وربنا راضي عننا وكل أهلنا فرحانين بينا..

- أهو أهلنا مش راضيين إننا نبقى سوا.

- ليه بقى؟!

تنهدت نور ... لا تعلم كيف توضح له الأمر.

- هي سلمى حكتلك حاجه على مريم ولّا لأ؟

- أنا هوفر عليكي الكلام اللي انتي مش قادره تقوليه ... سلمى لحد ماطلبت إيدك ماكانتش فهمتني حاجه لإنها ماكانتش فاهمه .. بس هي حست امبارح إن مريم كانت فاكره إني جاي أطلب إيدها هي..

نور حركت رأسها موافقة.

- هو ده اللي مزعلك يعني؟

- طبعًا مزعلني يامحمد .. أنا ومريم أكتر من الاخوات مش هقدر اتخلى عنها.

- هتتحل وهتشوفي .. بس المهم إنتي عايزه نبقى سوا أصلا ولّا لأ؟

قبل أن تجيب نور، رن هاتف محمد فضحك.

- آلو .. ياريتني افتكرت مليون جنيه .... يعني عملتي إيه؟... طب انتوا جايين دلوقتي؟... ماتتأخروش طيب عشان هتأخر على الصيدليه كده ... ماشي سلام.

وترك محمد هاتفه.

- أهي أتحلت اهي.

- عملت إيه؟!

- إستني شويه وهتفهمي.

معظم الوقت كانا صامتين، ينظران لبعضهما دون تعليق، حتى وصلت سلمى، لكنها لم تكن بمفردها.

- أهم وصلوا.

تعجبت نور مما رأته! كيف فعلت سلمى ذلك؟! ماذا قالت لمريم لتجعلها تأتي معها إلى هنا؟! بدأت سلمى حوارًا جديد

- احنا جينا .. عاملين إيه؟

- إحنا تمام .. إنتوا عاملين إيه؟

- إتبهدلنا ف المواصلات.

مريم ونور ظلتا تنظران إلى بعضهما حتى نطقت مريم:

- نور ممكن نقوم نتمشى شويه؟

تحركت نور معها، لعلها تجد أي علامة توضح لها ما يحمله لها القدر! بَعُدا قليلًا عن الطاولة، وتركتا محمد وسلمى يمزحان معًا.

- عملتي إيه يالمضه؟

- يابني احترمني شويه مش معقول كده..

- إنجزي بدل ما اقوم واسيبك وخليكي انتي تدفعي الحساب.

- مش معقول .. ربنا رزقني بأخ مافيش أرخم منه ... المهم أنا فهمتها إننا فعلًا ماكناش فاهمين حاجه وإن نور ماكانتش تعرف إحنا جايين ليه!

رد عليها في حماس:

- يارب المشكله دي تتحل ... ياترى مين اللي نق ف الجوازه دي؟ ياترى مين ياترى مين؟؟

- إيه انت بتبصلي كده ليه؟ ... ده أنا نفسي أخلص منك النهارده قبل بكرا .. ده انت زاحم الشقه.

- أنا آسفة .. ماكانش المفروض اتسرع فحكمي عليكي .. ماكانش المفروض أعلق نفسي بحاجه مش هتحصل ... ماتزعليش مني.

احتضنتها نور، وأخبرتها أنها أغلى شخص في حياتها، وألا تضع نفسها بمقارنة كتلك مرة أخرى.

- ربنا يهنيكوا ببعض يانور.

- مريم إنتي بجد مش زعلانه؟ .. يعني لو اتجوزت أنا ومحمد هتبقي مبسوطه عشاني؟

- طبعًا. إنتي هبله يابت ولّا إيه هو انا ليا غيرك؟ .. أنا فرحتي بيكي ماتتوصفش .. ده أنا هفضل طول الفرح بزغرط وبرقص ومش هتهد ... بس ممكن أسألك سؤال؟

- إسألي..

- إنتوا عرفتوا بعض ازاي وليه ماقولتيليش؟

- محمد السنه اللي فاتت كان لسه جاي يسكن جنبنا .. وسلمى كانت ماكانتش واخده على المكان لما نقلوا كلهم هنا .. وهو كان بيوصل سلمى لأي مكان وكان بيجي معاها الكليه كتير .. ولما اتعرفت على سلمى عرفتني عليه.. وأحيانًا كان بيوصلنا. أعجبت بيه ف الأول .. بس كنت عارفه إن ماما هترفض أي حد بسبب بابا فحاولت أبعد شويه.. بس هو دايمًا كان بيحاول يقرب .. مارضتش احكيلك عشان ما أقنعش نفسي بوهم .. ولما أنتي حكيتيلي ماكنتش متوقعه إن قاصدك عليه وأنا وسلمى أصلا مش قريبين من بعض فماعرفش تفاصيل عنهم ولا أعرف بيشتغل فين.. حتى عنوانهم ماعرفوش لإن بيتي قبلهم .. فكنت بنزل من العربيه وهما بيكملوا الطريق.. ولما شوفناه ف الصيدليه مارضتش أحكيلك عن حاجه عشان فعلًا ماكانش في أي خطوه لا مني ولا منه.. قولت يمكن بيحبك فعلًا وكنت هفرحلكوا والله.

مريم كادت تنفجر في البكاء، لكنها ضمت نور وأخبرتها أن كل شيء سيكون على ما يرام، وأنها بجوارها دائمًا مهما كانت العواقب.

- مش يلا نرجعلهم بقى؟

- يلا.. إحنا لازم نروح عشان أنا مش قايله لماما إني مع محمد ولا قايلالها إني هنا أصلًا.

- هي خالتو عملت إيه معاكي بعد ماروحتوا من عندنا؟

- هحكيلك واحنا ف الطريق عشان منتأخرش.

- تمام.. يلّا.

بدأ محمد يطمئن تجاه تلك الزيجة بعد أن وجد أن الطريق ممتلئ بالصعاب، لكنه شعر أن الله سيرزقه خيرًا ..

***

في مساء ذات اليوم، جلس محمد يقرأ في روايته، كان يحب قراءة الروايات الرومانسية والاجتماعية، عله يتعلم كيف يتعامل مع حبيبته وزوجته المستقبلية! دائمًا يتمنى أن يكون زوجًا وأبًا مثاليًّا؛ حيث إنه نجح في أن يكون ابنًا وأخًا مثاليًّا .. جلس يقرأ ويفكر. ماذا سيحدث فيما بعد؟! هل القادم أجمل أم لا؟! هل ستكون حياته كما تمناها أم ستختلف؟! وقطع طرق الباب عليه تفكيره.
دخل والده غرفته بعد موافقة محمد على دخوله، وكان يحمل ابتسامة تخفي آلامًا وأوجاعًا.

- في حاجه يا بابا؟!

رد والده بكلام كثير لم يتوقع نهايته: بص يابني.. إنت عارف إن أنا وأمك ماتجوزناش عن حب.. بس كنا بنتقي ربنا ف بعض لحد ماكبرناكوا وبقيتوا ترفعوا الراس.. ومشاكلنا بسيطه وماكناش بنجرح بعض وانتوا شوفتوا ده بعنيكوا.. مش عارف هي عايزة تطلق ليه؟! والله أنا مزعلتهاش.. بس مادام هي مش مرتاحه أنا مش هقدر اعيش معاها غصب عنها ... أنا هعمل معاش مبكر يابني وهروح أقعد ف البلد.. هشتغل ف الأرض بتاعتي وهتونس مع عمامك وعماتك وعيالهم.. بس معلش خليها بعد ما اطمن عليك وجوازتك تتم مع إني خايف.

- ماتخافش يا بابا كله خير بإذن الله.. إدعيلي بس ... يمكن هو ده القرار الصح ليكوا انتوا الاتنين يا بابا .. ماما بقالها فتره مكتئبه وحالتها ماتسرش وأنا هحاول افهم مالها.. وماتخافش يا بابا. إحنا ولادكوا انتوا الاتنين وهنفضل جنبكوا...

شعر محمد أن والده يريد أن يبكي، لكنه يتماسك أمامه، فحاول والده ألا يُظهر ذلك، فخرج من غرفته مُسرعًا بحجة أنه تأخر عن أداء الصلاة، لكنه حين فتح الباب، وجد زوجته ووالدة محمد وسلمى واقفة خلف الباب تسمع الحوار الذي دار بينهما وتبكي .. تبكي كثيرًا.

ضمها إليه، وطلب منها أن تمسح دموعها دون أن يسألها عن سبب بكائها وتصلي معه في جماعة، وطلب من محمد وسلمى الطلب ذاته، هو يعلم جيدًا أن طلبها في الانفصال قرار متسرع منها في لحظة غضب.

الفصل الثالث
(أهم خطوة هي الأولى)

- يا أمي أنا ماصدقت لقيت شغل .. وبعدين دول ٣ شهور بالكتير إن شاء الله.
- وانت لقيت الشغل ده فين؟
- مروه جابتهولي تبع الشغل بتاعها.
- مش عارفه يابني.. أنا مش مرتاحه.. بس مادام إنت عايز تروح روح يا حبيبي وربنا يجعلها فتحة خير عليك وينورلك طريقك يارب.
- يارب يا أمي.. إدعيلي كتير الفتره الجايه.. أنا محتاج دعواتك.
- إنت هتخوفني عليك ليه بس؟!
- مش بقولك كده عشان تخافي والله.
- طيب هتسافر إمتى؟
- هفهم من مروه وهقولك إن شاء الله .. المهم كنت عايز نروح نقرا فاتحه مع أهل سميره.
- لأ بلاش نروح قبل ماتلاقي شغل .. هنروح نقول للناس إيه؟.. جايين نحجزها؟
- طيب نعمل إيه؟
- مانعملش حاجه .. إتوكل على الله وربنا يقدملك الخير.
- يارب ..يارب.

تدخل الشركة التي تعمل بها و بكل ثقة..عيناها تملؤهما نظرة انتصار، لكن الموقف لا يستحق كل هذا.. دائمًا

تعطي الأمور أكبر من حجمها بكثير. وصلت مكتب مديرها، وعلمت من مساعدته أنه ينتظرها بالداخل وسمحت لها بالدخول.

هذه المرة بدأت هي بالحوار:

- صباح الخير يا أستاذ مدحت.
- صباح النور يا سميحه. مبروك عليكي المؤتمر.
- الله يبارك ف حضرتك يافندم.
- إجهزي للسفر.
- إمتى؟
- الأسبوع الجاي.
- طيب ممكن حضرتك تقولي على تفاصيل شغل جوزي؟
- ماتخافيش.. هيبقى معاكوا ناس تبعنا هناك من أول ماتوصلوا المطار هناك لحد ما ترجعي مصر تاني.
- تمام يافندم.
- عايزك تشرفينا وتظهري كل أفكارك ف المؤتمر ده .. موظفين كتير نفسهم يبقى عندهم فرصتك دي.
- بإذن الله.. بس أستأذن حضرتك ف إجازة يومين أجهز حاجتي للسفر وأسافر أسلم على أهلي.

- مافيش مشكله.. بس حاولي تخلصي حاجتك بسرعه عشان هقولك على كام حاجه تخلصيهم قبل السفر عشان في شوية ورق هنحتاجه معانا.
- تمام .. مش عارفه أشكر حضرتك إزاي.
- من غير شكر إنتي تستحقي ده.

أخيرًا يشعر أحد بحبها لعملها، ويشعر بشغفها الزائد. الآن يجب عليها أن تكون مُطمئنة حتى ولو قليلًا. سالم وافق على اقتراحها وأقنع أهله بالسفر. ليس ذلك فقط، بل عقدا القران أول أمس، وصديقاه شهدا عليه، وكانت مروة وسحر بجانبيها. ظلت مروة تؤكد لها إنه يستحق تلك الثقة عن جدارة. كانت تشكرها لمساندتها لهم، بالرغم من أن سميحة هي من عليها الشكر.

سافرت وأخبرت أهلها بخبر سفرها، رفض والدها في البداية، فهي عزباء، ومجتمعها لن يقبل بسفرها بمفردها حتى إذا كانت ستتولى رئاسة الجمهورية.. وافق بعد إلحاح وبعد ما شرحت له تفاصيل السفر وأنها لن تكون بمفردها، سيكون معها زميلات العمل . حاولت إقناعه أن وجودها في مصر أخطر من وجودها في أي مكان آخر، لكن لا حياة لمن تنادي .. الصعيدي صعيدي!

لم ترَ سالم منذ عقد القران.. لأول مرة ترى رجلًا مثله. مؤكد أن حبيبته تحبه كثيرًا، فهو لم يقبل باقتراح سميحة إلا لأنه يحبها. فذلك كله من أجلها أولًا وآخرًا.

أوصيت رفيقاتيها بأن يطمئنا علي أهلها كل يومين على الأقل، وأن يرسلن لهم هدايا، على أنها هى من أرسلتها. ووافقا لإسعادها. لآخر لحظة سحر تؤنبها على ما فعلت! لكنها ستتحمل نتيجة قرارها مهما كانت العواقب..

سافرا.. سالم يكاد يكون لا ينطق، كلامه محدود ومتزن جدًّا، يربكه الموقف ويربكه قربها منه! عليهما أن يبدوا زوجين طبيعيين حتى لا تسمح لأحد أن يشك بأمرهما.. فعلًا كان معهما موظف منذ بداية. تحركا من مطار القاهرة وحتى مطار بيروت، وآخر ظل معهما حتى أوصلهما للمنزل الذي خصصته لهما الشركة ليقيما فيه، وبدأ يشرح لهما الوضع:

- هتقعدوا هنا ف البرج ده.. كله موظفين من شركات كتير جايين يحضروا المؤتمر. لو احتاجتوا أي حاجه هتلاقوني ف الدور اللي فوقيكوا.
- شكرًا جدًّا تعبنا حضرتك معانا.
- مانقولش كده يا أستاذ سالم إحنا ف الخدمه.
- ربنا يخليك.
- أستأذن أنا.
- إتشرفت بمعرفتك.
- وأنا كمان ..مع السلامه.
- مع السلامه.

غادر الموظف، ولأول مرة يكونان هى وهو بمفردهما، أفرغت الأغراض في أماكنها، وبقيت في الغرفة، الشقة بغرفة واحدة، أخبرها أنه سيبيت في الصالة، وألا تقلق من وجوده معها. تعاهدا أن يكونا أخوين، فهو إنسان يشرف أي أحد بمعرفته له، مثال للرجل حقًّا، بدأ عمله قبلها، وقدم طلبًا بأن يعمل في وظيفتين، منه تكون على راحتها، ومنه يحقق حلمه. أي حوار بينهما يؤكد لها مدى حبه لها.. ليت من أحببته سميحة كان يحبها نصف ما يحبه سالم لسميرة! يذكر اسمها كل دقيقة تقريبًا حتى حفظته عن ظهر قلب.

تنشغل هي بين الأوراق والأبحاث والملفات.. بينها وبين حلمها أقل من خطوة، كانت حمقاء حين أحببت غبيًّا. لن تقبل أن تكرر غلطتها ثانية وتفرط في فرصة مؤتمر يحضره الآلاف من أصحاب الشركات العالمية. وإذا أحسنت عرض أبحاثها، ستصل لمكانة باتت تحلم بها أعوامًا. كانت تعمل كأنها لم تعمل من قبل، يغلبها النوم أثناء انهماكها في عملها، وفي يوم مًا يأتي هو ليجدها مستلقية على الأرض وبيدها الأوراق والملفات تحيطها ويحاول أن يوقظها.

- سميحه ..سميحه إصحي.

انتفضت حين سمعت اسمي .. منذ فترة لم أسمع صوتًا ذكوريًّا يوقظني!

- إيه ده؟ هي الساعه كام؟!
- الساعه ١١
- أنا آسفه.. نمت وانا بشتغل ونسيت أحضر الأكل. هقوم أحضره حالًا.
- لا لا مش مشكله أنا مش جعان.. أنا بس عايز أنام عشان عندي شغل بدري.
- طيب عشر دقايق بس ألم حاجتي أدخلها الأوضه جوه.
- تحبي أساعدك؟
- لا شكرًا أنا هلمهم على طول أهو.
- طيب أنا هتوضا وأصلي عقبال ماتخلصي.
- ماشي.
- لو تحبي تيجي نصلي جماعه؟

بدت كالصنم! سمعت جملته وكاد كل شيء جمعته يقع من يدها! كيف لها أن ترفض طلبًا كهذا؟! وافقت بالطبع، ووقفت خلفه ليكون إمامها، فوجئت بصوته وهو يقرأ القرآن. صوته يجعلك تدخل في حالة خشوع وروحانية رائعة! انسابت دموعها وهي تسمعه وهو يجيد التلاوة، لم تحاول أن تسيطر عليها، فقد سيطرت بما يكفي من قبل!

انهمرت منها رغمًا عنها حتى أنهيا صلاتهما ليجد الدموع تغطي وجهها ولونه قد اصفر! لم يفهم ماذا حدث!

- مالك يا سميحه؟

- لا مافيش.

قامت لتهرب من سؤاله، فوجدته يغير اتجاه الحديث.

- طب ممكن لو ماوراكيش حاجه تعمليلنا كوبايتين شاي ونقعد ف البلكونه شويه؟

- حاضر.

خرجت وهي تمسح دموعها التي لا تعلم سببها الحقيقي! لكنها من شدة الألم ، بل الآلام، تحملت كثيرًا حتى انطفأت روحها، وجاء هو ليحييها بصوته.

* في البلكونة *

- تسلم إيدك.

- على إيه؟ أنا ماعملتش حاجه .. لسه مش راضي أجيبلك حاجه تاكلها؟

- لا ماليش نفس.

- ليه بس؟

- سميره اتخطبت.

- إيه؟!

-كلمت أمي أطمن عليها لقيتها بتقولي إنهم خطبوها لابن عمها.

- ازاي يعني؟

- اهو اللي حصل بقى.

- عايز ترجعلها مصر؟

- هرجع دلوقتي أعمل إيه؟.. أنا عارف إنها بتحبني ووافقت غصب عنها.. بس لو رجعت وانا ماعييش ولا مليم مش هغير حاجه.

تعلم جيدًا أن حديثه هذا لم يكن هينًا عليه أبدًا.. حب حياته تتخلى عنه - كما حدث معها- خاضت تلك التجربة من قبل وتعلم ما يشعر به.

- يلا أنا هقوم.. أنام آسف لو صدعتك.

- إحنا اخوات .. ربنا يعوضك ويخفف عنك.

- آمين يارب.. عايزه تقولي حاجه؟

كيف عرف أنني أريد أن أخبره قصتي؟ ! هل يبدو عليَّ ذلك؟! جاوبته بسرعة حتى لا أبدو مترددة:

- لا.. تصبح على خير. أنا كمان هقوم انام.

- وإنتي من أهله.

وتركته ليرتاح ودخلت غرفتها. أمسكت بمفكرتها وغرقت فيها، لا تستطيع التوقف عن الكتابة طالما كانت بيدها. للمرة الثانية يغلبها النوم وهي بين الأوراق. هل

ستبقى هكذا طوال عمرها أم سيأتي يوم تكره فيه الورق هذا؟!

حب العشرة أبقى أم حب من أول نظرة؟! اثنان لا يعرفان عن بعضهما شيئًا سوى بيانات تُكتب في شهادة الميلاد، أو ربما البطاقة الشخصية، ويعيشان معًا على الحلوة والمرة، يعيشان حياة بأكملها معًا، متقبلين بعضهما، يتعاملان أمام الجميع كأنهما عاشا قصة حب دامت لسنين وسنين! .. أم اثنان رأيا بعضهما صدفة دون أي ترتيب؟! يواجهان مشاكل، لا يعلمان من أين أتت! لا يعلمان سبب مواجهتهما لها! ليس لديهما ما يتمسكان به من أجله بعد. لا وقت، ولا وعود، ولا أسرة... ولا شيء. لكنهما أرادا أن يبقيا معًا هكذا. ربما الاثنان أبقى، وربما النهاية لكليهما قريبة ... قريبة جدًّا.

***

يوم جديد ... يوم يرسم بداية حياة نور ومحمد معًا.

- صباح الخير يا ماما.

- صباح النور يا نور.

- ماما.. بعد إذنك أنا عايزة أتكلم معاكي ف موضوع.

- أنا عارفه انتي عايزه تتكلمي ف إيه.. وأنا كمان عايزه أتكلم معاكي ف نفس الموضوع.

شعرت نور بالخوف بعد جملة ماجدة، ظنت أنها ستحسم الأمر وستجبرها أن تختفي من حياة محمد نهائيًّا.

هل سأكمل جامعتي؟! ... ماذا تريد أمي؟! ... يارب خيب ظني هذه المرة.

- أنا فعلًا ماكانش ينفع أقارن حياتك بحياتي يانور ... أنا بس خايفه عليكي .. أنا موافقة على محمد يانور..

نور لم تجد كلمة تعبر بها عن صدمتها في رد أمها! هل ما سمعته حقيقة أم وهم؟!

- بجد؟!

- مايسه كلمتني وقالتلي إن مريم مش بتفكر فيه وإنها ماعندهاش سبب تخسرني عشانه .. مافيش سبب يخليني أرفض .. بس بشرط .. يجي يتقدم هنا ف البيت عندنا وأنا اللي أحدد فترة الخطوبه.

- أي شرط هنوافق عليه .. هاتي بوسه بقى .. أنا هروح أكلم محمد أقوله يجي إمتى.

- آخر الأسبوع إن شاء الله.

- هيييييه أنا بحبك أوي يا ماما.

أقنع محمد والديه بأن يتقدما معه مرة أخرى لطلب يد نور من والدتها، ووافقت ماجدة على طلبهم، وقرأوا الفاتحة، وحددت ماجدة موعد الخطبة ... بعد أسبوعين ... أن تكون ستة أشهر على الأقل حتى تطمئن على نور مع محمد. ولتكون فترة كافية للتعارف .. والغريب أنها لم تثقل على أهل محمد في مطالبها! أخبرها محمد أنه

سيفعل ما بوسعه ليجعل نور سعيدة، وأخبرها أنه تمكن في فترة عمله منذ بداية دراسته في الجامعة أن يوفر مبلغًا كافيًا لشراء شقة ليعيشا فيها، وأنهما سيتعاونان في تجهيزها.

وجاء موعد الخطبة سريعًا ... الموعد المنتظر، ليشهد الجميع على قصة نور ومحمد معًا منذ بدايتها.

- سلمى.. معلش إطلعي شوفي نور خلصت ولّا لأ.. إحنا بقالنا ساعة واقفين.. دي لو بتعملها عملية تجميل كان زمنها خلصت.

- هههههههه أنا مش عارفه هي وافقت عليك ازاي أصلًا.

- طب اطلعي وانتي حلوه كده شوفيها.

- محمد إنت كويس! .. إنت أول مرة تشكر ف شكلي!

- لأ. ده عشان أنا اللي دافع فلوس الفستان بس.

- طب شوف مين اللي هيطلعلك بقى.

أوقف والدهما هذا الشجار:

- خلاص يالمض انت وهي أنا هطلع أنا.

محمد مازحًا:

- تطلع تعمل إيه ياحاج؟.. دي عروستي انا حضرتك.

ضحك والده، ثم رد عليه وهو يضع يده على كتف محمد:

- نور من النهارده بنتي وأنا زي ابوها .. لازم اسلمهالك بإيدي عشان تبقى مطمنه .. أكيد هي نفسها أبوها يبقى ساندها ف يوم زي ده.

دائمًا ينبهر محمد بكلام والده، يلقبه بالرجل العظيم.

- ربنا مايحرمناش منك ياحاج.

وبعد دقائق، وجد محمد والده ممسكًا بيد نور. أهذه نور حقًّا؟! لأول مرة يراها بفستان. فدائمًا ما ترتدي البنطال. لأول مرة يراها تضع أي نوع من مستحضرات التجميل وهي لا تحتاج لأي منها في الأساس، لكنها تبدو كالأميرة هذه المرة، جميلة هي، جميلة جدًّا، تنزل على السلم ببطء، فهو يعلم أنها لا تتحمل الكعب دقيقتين.. أمها، وخالتها، ومريم، يزغردن بجوارها، شعرت سلمى أن محمد يقف كالصنم لا يتحرك.

- إيه ياعم صحصح .. روح إمسك إيد عروستك.

تقدم محمد حتى وصل لنهاية السلم، ووضع والده يد نور في يد محمد.

- إحم إحم!.. لو سمحتي أنا عروستي فوق ممكن تندهيها؟

نور سحبت يدها من يده: إنت رخم أوي على فكره.

ضحك محمد وأمسك بيدها ثانية:

- أنا آسف أنا آسف ... إنتي زي القمر على فكره.

سحبت نور نظراتها في خجل وابتسمت.

قبَّل محمد يدها، وظل مُمسكًا بها طوال الحفل، لم يتركها لوهلة، وهي كانت سعيدة جدًّا بذلك.

رغم عدم اطمئنان ماجدة على ابنتها الوحيدة، لكنها كانت سعيدة، ابنتها كبرت، وستصبح زوجة ثم أمًّا، ستشعر مع ابنتها المستقبلية بما شعرته هي مع نور نفسها. ظلت تدعو طوال الحفل أن يكون نصيب نور أفضل من نصيبها الذي ظل يعاندها ولم يقف بصفها أبدًا. أسيكون محمد كزوجها؟! هل سيخون؟ يكذب؟! يهرب؟! أم سيكون مختلفًا عنه؟! هل سيكون قدر ابنتها لا يشبه قدرها هي مطلقًا؟ تتمني ذلك. فلا توجد هناك أم تتمنى لابنتها الأذى على وجه البسيطة... تلك هي فطرتهن.

لتأتي مايسة لتخفف عنها تلك الذكريات التي كانت دائمًا ما تطاردها.

- الحلو سرحان ف إيه؟

ابتسمت ماجدة وضمت أختها: إنتي اللي طلعت بيها من الدنيا يا مايسه .. ونعم الأخت والصاحبه وكل حاجه.

- ربنا يخلينا لبعض يا ماجده.

- أمال مريم فين؟

- مريم ياستي ماقعدتش عشر دقايق من أول اليوم وهي بتزغرط وبترقص وفرحانه بنور وطايره من الفرحه كمان.

- يارب تكون بتعمل كده من الفرح مش الحزن.

- ماتخافيش على مريم ... هي عارفه إنه مش من نصيبها ولما كلمتها قالتلي إنها محتاجه تركز ف دراستها وتنجح فيها ونفسها تحقق اللي أبوها الله يرحمه كان نفسه فيه .. وهي بتحب نور زي أختها وأكتر وفرحة نور من فرحة مريم بالظبط.

تنظر لابنها وهي لا تصدق! أبعد كل ذلك العذاب محمد يولد ويكبر ويدرس، ويتخرج ويصبح طبيبًا صيدليًّا والآن يتزوج؟! يتزوج من فتاة أحبها وهي تحبه؟! لن تكون بداية حياته كبداية حياتها، سيكون سعيدًا أكثر منها، رغم أنها تزوجت زواج (صالونات) كما يُقال عنه، إلا أنه كان يُحسن معاملتها كأنه أحبها عمره كله وهي لا تنكر هذا أبدًا. أحبته مع الوقت، لكن هنيئًا لنور. ستتزوج بمن تحب، وهو أيضًا يحبها وهي موقنة أنه سيعاملها كما يجب أن يكون. سيعاملها بحب، ليس لمجرد أداء واجب زوج كما فعل زوجها. نظرت لزوجها وهو يضحك مع ابنتهما سلمى وتبدو عليه الفرحة

. لماذا أترك رجلًا بتلك الطيبة؟! لم يضربني، ولم يهيني، رغم علمه بظروفي لم يجرحني، لا يترك فرضًا، قربه من الله جعل في وجهه نورًا، نورًا يطمئنها حين تراه. كيف أكون بهذا الظلم؟! لهذه الدرجة أنا قاسية؟! لهذه الدرجة لا أقدر نعمة الله علي؟!

حتى جاءت سلمى بعد أن بحثت عنها:

- اللي واخد عقلك يا جميل..

حاولت أن تجد مفرًّا من الإجابة على سؤال ابنتها: عقبالك يا سلمى.. نفسي أفرح بيكي انتي كمان.

سلمى بمرحها المعتاد:

- قريب ماتقلقيش.
- هقول لابوكي.
- بابا ده راجل عسليه أصلًا.. هتلاقيه بيقولي خليه ياخدك بشنطة هدومك.. إنتوا زهقانين مني أصلًا.
- بصراحه مصدعانا ليل نهار.
- مش بقولك؟
- أهي نور ومحمد اتخطبوا.. مش هتفهميني بقى المشكله كانت فين؟
- إنتي شاغله بالك ليه؟ .. محمد مبسوط وهيتجوز بنت بيحبها والكل فرحان ليهم.
- ربنا يهنيهم يارب.

كانت حفلة صغيرة، لم يحضرها سوى الأقارب، وأغلبهم من البلد، حيث ولد كلٌّ من نور ومحمد، لم يخل الحفل من انتقادهم لشكل نور، وكيف قبلت بخاتم ولم تصر على شبكة قيمة! فأمثالهم لا يعرفون قيمة الخاتم! وبالنسبه لنور حتى إذا كان صفيحًا، فهو من محمد وذلك يكفي.

قررت نور ألا تعلن عن خطبتها في الجامعة، جميع أصدقائها وأصدقاء مريم يعلمون الكثير عن فتى أحلام مريم - سابقًا - وذلك لن يكون في صالح أحد منهم.

اتفقت مع مريم وسلمى ألا يخبرا أحدًا عن خطبتها بمحمد، أو على الأقل بدون تفاصيل.

اعترضت مريم في البداية، هذا ليس عدلًا! كيف تتم الخطبة خفية؟ أين الخطبة إذن؟ لكن نور لم تسمح لها بالاعتراض. وافقت مريم إرضاءً لنور ليس أكثر.

ماذا عن رأي محمد؟!

الفصل الرابع
(قرارك وعليك تحمل عواقبه)

يومها روتيني بحت، لا تقوم بعمل أي شيء جديد. من السكن للندوات، ومنها إلى السكن، وهو أيضًا ينتهي يومه عند عودته من عمله، يعود مرهقًا لا يريد سوى أن ينام، حتى أنه ينسى أن يأكل طوال اليوم حتى اليوم التالي .. اعتادت العيش معه، ما يحمله قلبها نحوه ليس حبًّا أبدًا، بل هو فقط اطمئنان، فكما تعاهدا، فهما أخوان، وهو نعم الأخ حقيقة!

كانت تُرتب الشقة، فقد امتلأت بأوراقهم وملفات العمل. سمعت صوت الباب يُفتح ويُغلق. صراحة انتابها الفزع، ما زالوا في منتصف اليوم، وهو لا يعود في ذلك الوقت أبدًا. لكن تفكيرها لم يستمر طويلًا، فقد سمعت صوته يناديها، ولكن نبرته لم تكن كالمعتاد:

- سميحه ... سميحه.

خرجت وهي تركض لتفهم ماذا يجري!

- أيوه أيوه في إيه؟

أمسك بمعصمها، وكادت يدها تلتوي أو تُكسر في يده.

- إنتي كلمتي سميره من ورايا؟

لسانها توقف.. لم تتمكن من أن تنطق بكلمة.

- ماتردي ..كلمتيها من ورايا؟

حاولت أن تفلت يدها من يده وأنا تجيبه، لكن محاولاتها قد باتت بالفشل.

- أيوه كلمتها فيها إيه؟
- إنتي مين سمحلك تكلميها أصلًا؟ وتكلميها ليه؟

كانت نبرته تعلو شيئًا فشيئًا، حتى لاحظ أنها ترتجف.

- أنا كنت بحاول أحل مشكلتكوا..
- وحضرتك حلتيها ازاي ان شاء الله؟

نبرته ملأتها السخرية، لا تفهم.. أكانت سخرية أم إهانة لها؟!

- قولتلها إنك بتحبها.
- وهي كانت مستنياكي انتي تقوليلها المعلومه الفظيعه دي؟
- يعني إيه؟!
- يعني حضرتك بوظتي الدنيا أكتر ماهي بايظه.
- بوظتها ازاي؟
- إنتي تعملي اللي ف دماغك وبعدين تسألي ازاي؟! أنا راجع مصر ف أول طياره.
- طب واتفاقنا؟
- مافيش اتفاقات بنا من دلوقتي.

قال جملته وخرج، ووجهه يظهر عليه الغضب، مؤكد أن كل من يراه سيلاحظ هذا. ماذا عليها أن تفعل الآن؟ كل شيء سينتهي هكذا؟! لماذا أي حلم تتعلق به لا يكتمل؟ تعبها طوال تلك الفترة سيكون سرابًا؟!
حاولت أن تهدأ وتتماسك، انتظرته في الشرفة حتى يأتي لتفهمه الحقيقة، لكنه لم يأتِ. أيعقل أن يكون قد سافر بدون أغراضه؟! يأتي الفجر وهو لم يصل بعد، فتوضأت وصلت، ودعت الله أن ييسر لها طريقها. لم تكن مخيرة في أي شيء من قبل. هذا أول قرار تأخذه بمفردها.

مر أسبوع وهو لم يظهر بعد، لا تعلم عنه أي شيء، لا تعلم حتى إن كان ما زال في لبنان أم عاد إلى مصر! تنتظره طوال الليل في البرد لتستقبله لتروي له ماحدث بالتفصيل، لكن النتيجة هي أن الحمى قد اصابتها، فقدت القدرة على الحركة حتى لو كانت بسيطة. تزداد درجة حرارتها وهي لا تستطيع إسعاف نفسها. بلد غريبة عليها، تتحرك فيها بسيارة الشركة ومعها سائق يحفظ كل شبر فيها، والآن هي بمفردها، حتى النهوض من الفراش تستصعبه.

***

* أول يوم دراسة الفصل الثاني *

- يا محمد مش لازم توصلنا النهارده.. فين المشكلة يعني؟

- نور أنا وافقت إنكوا تخبوا موضوع الخطوبه ده مع إني مش مقتنع أصلًا عشان أرضيكي.. مش فاهم مش عايزاني أوصلكوا ليه؟ مانا كنت بوصلكوا قبل الخطوبة. وبعدين إحنا مش عاملين جريمه.. كده كده كل حاجه هتتعرف بس أنا مش عايز أزعلك.

- طيب كل حاجه تتعرف ف وقتها ده مش وقتها يا محمد.

محمد لأول مرة تعلو نبرة صوته هكذا:

- طيب يا نور.. إنتي حرة.. أنا نازل اشوف شغلي.

شعر محمد أن صوته لم يكن مناسبًا لتهدئة الجدال، بل زاد من غضب نور، فحاول أن يخفض نبرته: خدي بالك من نفسك.

- حاضر سلام.

- سلام.

وترك محمد هاتفه على مكتبه ونظر لأخته:

- مش فاهم هي عايزه تعمل كده ليه؟!

- بصراحه يا محمد هي معاها حق ... أنا لو مكان مريم وواحده قريبتي أو صحبتي اتخطبت لواحد أنا معجبه بيه وصحابي كلهم عارفين هبقي مكسوفه عيني تيجي ف عينهم.. هيبقى شكلي وحش جدًا.

- ازاي كل صحابكوا عارفين وانتي ماكنتيش واخده بالك؟

سلمى نظرت أرضًا ولم ترد.

- سكتي ليه؟... سلمى هو انتي كنتي عارفه؟

- آه يامحمد كنت عارفه.. أحيانًا مريم كانت بتلمح وأنا كنت بعمل هبله عشان عارفه إنك بتحب نور .. ماكانش عندي حل تاني .. لو كنت قولتلك أو قولت لأي حد موضوعك إنت ونور ماكانش هيتم .. مريم ماكانتش بتقول حاجه صريحه أودامي وماكانتش بتقول إسمك.. كل اللي بتقوله إنها معجبه بابن الجيران.. وكانت بتتكلم بهزار وانا اعتبرتها هزار..

نظر لها محمد نظرة لوم وعتاب لم ترها منه من قبل، ولم تتمنَّ أن تراها.

- حرام عليكي يا سلمى .. حرام عليكي..

وتركها محمد وغادر إلى عمله وهو يستشيط غضبًا! كيف لأخته أن تفعل به كذلك؟! على الأقل كان عليها توضيح الموقف حتى يجد حلًّا مناسبًا، لكنها تركته لآخر لحظة، وربما لأبعد من ذلك. كان حواره مع سلمى يدور في رأسه كفيلم بدون فواصل، الكلام يتكرر في ذهنه، حتى وصل إلى الصيدلية.

- صباح الخير يا حسن.

حسن صديق محمد المقرب، كان زميله منذ دراستهما في الكلية حتى أصبحا أصدقاءً مقربين حتى الآن، هو من ساند محمد ليجد له عملًا في تلك الصيدلية الصغيرة. هو الوحيد الذي قبلت نور أن يحضر خطبتهما.

- صباح النور .. إيه ياعم؟ مالك جاي قرفان كده ليه؟

- لا عادي تمام مافيش حاجه.

- على ابو علي برضو؟.. اتخانقت مع نور ولّا إيه؟

محمد حاول أن يبدو منشغلًا:

-حاجه زي كده.

- حاجه زي كده ازاي يعني؟!

- مافيش حاجه يا حسن خلاص.

- أنا عارف إنك مش بتحب تدخل حد ف حياتك.. بس انت أكيد عارف إني مش بسأل فضول.. أنا بس عايز أخفف عنك.

- أنا آسف يا حسن.. بس أنا فعلًا مش قصدي حاجه.

- وأنا عارف ... بص يا محمد.. أنا آه مارتبطش قبل كده.. بس اقدر أقولك إن البنات دايمًا عندهم وجهة نظر مقنعه بس احنا بنعرف ده متأخر.

اكتفى محمد بأن يبتسم، واعتبرها علامة تؤيد رأي نور بخصوص إعلان الخطبة.

لكن ماذا عن سلمى؟! هو يشعر أنها ارتكبت خطأً لا يغتفر. كيف تخفي عليه أمرًا كهذا؟! هو في حيرة! يشكرها لأنها حملت عبء إعجاب مريم به بمفردها بدلًا منه طوال تلك الفترة؟! أم يلومها لأنها لم توضح له حقيقة الوضع منذ البداية مما زاد الأمور تعقيدًا؟!

ثم أردف على ابتسامته:

-ربنا كريم.

مريم تنتظر نور عند بنايتها منذ دقائق.

- إيه يابنتي اتاخرتي كده ليه؟ مالكوا النهارده؟

- معلش يا مريم وقفتك كتير ..أمال فين سلمى؟

- كلمتها ياستي لقيت صوتها مش مظبوط وشكلها متضايقه وقالتلي إنها مش عايزه تحضر النهارده.. هو في حاجه يا نور؟

- لا مافيش حاجه؟

شعرت مريم أنها أصبحت كالغريبة بينهما، لا أحد يخبرها بشيء، وتظل تصرفاتهما غامضة بالنسبة لها، وتأكدت من شعورها حين ظلت نور صامتة طوال الطريق، لا تعلم مريم إن كان من حقها التدخل أم لا! لكنها تفضل أن تبقى بعيدة حتى يطلب منها أحد المساعدة.

غادر محمد من عمله مبكرًا عن موعده، يؤمن بأن سرعة التسامح تتناسب طرديًّا مع زيادة الحب، وأخبر نور أنه ينتظرها في مول قريب من جامعتها ليتناقشا في الحل، وحاولت أن تجد مفرًّا من مريم، فطلبت منها أن تسبقها إلى المنزل ووافقت، ولم تحاول أن تفهم السبب، قررت أن تظل مُهمشة.

ظلت مريم تحدث نفسها طوال الطريق: ازاي قالتلي إنها مش عايزه تخسرني وهي مشغوله عني طول الوقت؟! أنا عارفه إنها عندها أولويات.. بس

ازاي اتغيرت فجأة كده؟!.. هي مش واخده بالها إني كنت بحبه؟!.. لا يا مريم ماتفكريش كده .. ماتفكريش كده ... ركزي ف دراستك وف اللي جاي.

- أنا مستنيكي على باب المول.. يلّا عشان منتأخرش.

- خلاص أنا وصلت وشايفاك اهو.. إقفل بقى عشان الموبايل هيفصل.

ترك محمد الهاتف بعد أن أنهى المكالمة ووضع هاتفه في جيبه وهو يبتسم، وينظر لها ويضع يده الأخرى خلفه كأنه يمسك شيئًا لا يريدها أن تراه، وحين وقفت أمامه زادت ابتسامته، وأخرج يده لتجده يمنحها باقة ورد.. ورد بنفسجي كما تحب . كادت تنادي جميع المارة لتبثهم فرحتها بتلك الباقة. فرحتها بمحمد! دائمًا يحاول إسعادها، دائمًا يجيد ذلك.

- عرفت منين إني بحب الورد ده؟!

- الفيس مش سايب حد ف حاله .. ها تحبي تاكلي إيه؟

- أي حاجه معاك هحبها.

محمد وهو يضحك:

- واضح إن الورد مفعوله قوي زي مابيقولوا.

- جدًّا.

- طب يلا ناكل عشان بعد كده هلفلك معايا شويه نجيب حاجات.

- ماشي يا سيدي طلباتك النهارده أوامر.

اختار محمد مطعمًا هادئًا داخل المول، وتركته نور يختار طعامهما، كانت في عالم آخر، عالم سعيد، حتى بدأ محمد المناقشة التي أتى بها من أجلها.

- فهميني.. إيه وجهة نظرك؟ إنتي عايزانا نخبي ليه؟

- إنت فاكر اني مبسوطه كده؟ هو انا مش زي أي بنت نفسي أقول لصحابي كلهم إني اتخطبت؟ ... مش هينفع يا محمد.. أنا مش عايزه أجرح شعور مريم ... ممكن تستحملني ف الموضوع ده لإني مش هغير رأيي فيه؟

- طيب زي ماتحبي .. مادام دي حاجه مريحاكي يبقى مريحاني أنا كمان.

- في حاجه كمان هنتعب فيها.

- إيه هي؟

- ماما ... رأيها ف جوازنا متقلب جدًّا وهتتعبنا شويه وخصوصًا إني لسه ماخلصتش دراسه.

- سيبيها على الله يا نور .. ماحدش عارف بكرا في إيه.. ماتخافيش كل حاجه هتتحل واحنا سوا.

- إنت بتجيب كل التفاؤل والهدوء ده منين؟

- طول مانتي متوكله على ربنا هتبقى هاديه ومتفائله.

تشعر نور بطمأنينة تجاه أي كلمة ينطقها محمد، لا تعلم من أين تأتيها تلك الراحة!

قرر محمد إصلاح كل ما أفسده اليوم.. أوصل نور إلى منزلها ثم غادر إلى منزله.. دخل شقته، لكنها صامتة كأنما لا يعيش بها أحد.

فرفع نبرة صوته ليسمعه كل من في البيت:

- إيه يا جماعه.. إنتوا هربتوا ولّا إيه؟

جاء صوت والدته من بعيد: تعالى يامحمد أنا ف الأوضه.

اتجه محمد إلى الصوت ليجد والدته مستلقية على فراشها.

- إيه ياست الكل.. داخله أوضتك بدري ليه؟

لترد على سؤاله في حسرة: زهقت من القاعده لوحدي بره .. أبوك سافر البلد من بدري وأختك ماخرجتش من أوضتها من الصبح.. ماراحتش الجامعه النهارده... إيه الشنط اللي معاك دي؟

منحها واحدة منها، وأخبرها أنها لها، لتجد بها عباءة أنيقة، احتضنته من فرحتها. منذ زمن لم تأتِ لها هدية بدون مناسبة أو بمناسبة.

- مبروك عليكي يا ست الكل .. أنا هروح انام بقى عشان ورايا حاجات كتير بكرا.. ماتعرفيش بابا هيرجع إمتى؟ .. عايز آكلمو ف موضعكوا.

ردت في لهفة:

- لا استنى ماتتكلمش معاه دلوقتي .. استنى لما أنا اقولك.

لم يفهم محمد تردد والدته، لكنه وافقها وغادر غرفتها متجهًا لغرفته.

حين سمعت سلمى محمد وهو يغلق باب غرفته، قررت أن تذهب إليه كي تنهي خلافهما، فهي لم تعتد أن تتركه ينام وبقلبه حزن .. دائمًا تخبره:

-نام وقلبك صافي وبالك رايق .. وحاول تحل أي مشكله قابلتك طول اليوم عشان تعرف تكمل اليوم اللي بعده والصبح يحلها ألف حلال.

دخلت غرفته بعد أن طرقت الباب، وسمعت موافقته على الدخول.. وجدته يضع أغراضه في مكانها، لكنه ظل واقفًا بظهره لم ينظر لها بعد، حتى سمع صوت بكائها.. استدار ليرى وجهها تغطيه الدموع، فاقترب منها ووقف أمامها:

- إيه يا سلمى؟ عامله ف نفسك كده ليه؟

ألقت بنفسها ليضمها، وحاولت مصالحته، رغم صوتها الذي أخفاه البكاء:

- أنا آسفه يا محمد والله ماكنش قصدي.. أنا كنت عايزاك تفرح .. بس قولي اعمل إيه عشان تسامحني وانا هعمله؟

محمد وهو يمسح على رأسها:

- بس ياهبله.. أنا ماقدرش ازعل منك.

- بجد يعني مش زعلان مني؟

- ماقدرش ازعل من روحي.

- طب اثبتلي.

تركها محمد وأخرج من بين ثيابه علبة مزينة صغيرة ومنحها إياها.

- دي كفاية كإثبات؟

- إيه دي؟

محمد وهو يمزح:

- لا. افتحيها وخلصينا ماتقرفيناش.

فتحتها سلمى؛ لتجدها ساعة كانت تريدها وقد أخبرها أنه سيشتريها لها في بداية الشهر الجديد.

- الله .. ربنا يخليك ليا ... بس مش انت قولتلي أول الشهر؟ جبت فلوس منين؟

- يخربيت رخامتك .. خشي نامي يا سلمى ويلّا نقطع علاقتنا ببعض.

- هههههههههه خلاص خلاص... أنا هروح انام عشان عندي محاضرات بدري.

- آه صح تعالي هنا .. إنتي ازاي ماتروحيش الجامعه النهارده؟

- ياعم مانا بروح ومابحضرش وبعدين مانت اللي نزلت وسيبتني زعلانه .. هي نور ماقالتلكش؟

- لا.. تلاقيها فهمت إن في حاجه فمارضيتش تدخل نفسها بنا... يازين ماختارت يا محمد.

ونشوف بعدين موضوع إنك بتروحي ومابتحضريش ده؟

- ماشي ياعم الحبيب.. تصبح على خير.

- تصبحي على خير ياحبيبتي.

وتركت سلمى غرفة محمد وهي ترفرف من فرحتها .... أخوها سينام مرتاح البال، لكن ظنها خاب!

ظل محمد يفكر في وضع والده ووالدته، يحاول أن يحل بينهما، لكنه لا يجد طريقة .. وماذا عن والدة نور أيضًا؟ .. هو لا يحبها، لكنه يتحملها من أجل نور.

نجح محمد في مهمته لكن نور فشلت. دخلت غرفتها فاقدة الأمل في إرضاء أمها بعد أن منحتها الحقيبة التي اختارها محمد لها كي يلين قلبها ناحيته، لكن حين منحتها نور إياها ردت ببرود:

- جايبلي حتة شنطه أعمل بيها إيه؟ وكمان باعتها معاكي؟ مكسل يديهاني هو؟ .. خليهاله .

سعيدة هي نور بمحاولات محمد لإرضاء الجميع، لكنها فاقدة الأمل في إرضاء ماجدة. تقف عقبة في حياة نور، لكن نور تحبها، وتعلم أنها أيضًا تحبها، لكن لا تعلم كيف تظهر ذلك! .. تعلم أن تلك التصرفات بسبب تجاربها الفاشلة في الحياة، تخشى عليها أن تقع في حفرة عميقة لا تخرج منها.. لكنها على كل حال تتمنى أن تتيسر الأمور حتى ولو قليلًا.

مرت الأيام على نفس الوتيرة .... يقوم محمد بكل ما في وسعه لإبعاد جميع العقبات التي تقف في طريق زيجته،

لا يعلم من أين تأتي كل تلك المشاكل! والداه يريدان الانفصال، والدة نور رافضة لفكرة زواج نور من الأساس، مريم وحبها له، الشقة التي لم يشترها بعد، وتمر الأيام دون أي إنجاز في حياتهما.

استيقظ محمد على صوت آذان الفجر، قلبه منقبض، يشعر بضيق شديد، فقام وتوضأ ليصلي ركعتي الفجر .. لا ملجأ له سوى الله، يتفق مع نور في ذلك، وربما ذلك هو أول شيء يتفقان عليه. ظل يدعو الله أن يقدم له الخير، وأن ييسر أموره.

وبعد انتهائه من روحانياته، حاول أن يعود لنومه لكنه فشل، ففتح حسابه الخاص على (الفيس بوك) عله يجد نور مستيقظة مثله ... وأصابت ظنونه.

* بدأ محادثته معها *

- إيه اللي مصحيكي بدري كده؟

- مطبقه من امبارح.. كان عندي كام حاجه عايزه أخلصهم عشان الكليه وصدعت.. قولت افتح الفيس شويه.. إنت إيه اللي مصحيك؟ لسه بدري على شغلك .. إنت بتخوني ولّا إيه؟

- آه بخونك وقولت افتح استأذنك.

- هههههههه يارخم إيه اللي مصحيك؟

- مش عارف يانور مش مرتاح..

- ربنا يستر .. أنا كمان قلقانه!

- بإذن الله خير ماتخافيش .. قومي كملي اللي وراكي وانا هعمل شوية حاجات وهكلمك وانا نازل الشغل.

- تمام اتفقنا.

أغلقا محادثتهما لتجد محمد كتب منشورًا: (تفاءل بما تهوى يكن).

تُعجب نور بشخصية محمد يومًا بعد يوم .. لم يخبرها بحبه صراحة، لكن كل أفعاله تؤكد ذلك .. هي أيضًا قلبها يزداد تعلقًا به بدون سيطرة منها، لأول مرة تشعر أن أمنياتها تتحقق، لم تكن تتمنى وجود رجل في حياتها بقدر رغبتها في أن تكون سعيدة، أن تكون مطمئنة. وهذا ما تشعر به الآن.

أمسك محمد هاتفه راغبًا في الاطمئنان على والده الذي سافر ولم يعد ولم تصل عنه أخبار.

- إيه يا حاج ماوحشناكش ولّا إيه؟

صوت والده يبدو عليه المرض:

-وحشتوني.. هو انا ليا غيركوا يابني! .. أنا راجع بعد بكرا إن شاء الله.. اتكلم مع امك.. شوفها عايزانا نروح للمأذون إمتى.. أنا رتبت الحال هنا وهاجي اقعد مع اعمامك هنا..

بدأ محمد يفهم سبب ضيقته:

- حاضر يا حاج .. تيجي بالسلامه.

خرج محمد من غرفته. وجد والدته وسلمى يعدان الفطور:

- كويس إنكوا صاحيين .. اقعدوا عايز اتكلم معاكوا خمس دقايق.

- في إيه يا محمد؟

- بابا جاي بعد بكرا .و..و..و .. وطلب مني أكلم المأذون عشان هو قرر يعيش ف البلد.

نظرت والدته له في حسرة، ثم نظرت إلى سلمى، وجدتها تحبس دموعها، فهما تربيا على الاحترام بين والديهما، ولم يحدث بينهما مشكلة أمامهما أبدًا. كيف يحدث كل ذلك فجأة؟! لا يوجد بيت بدون خلافاته ومشاكله، لكن بيتهم كان استثنائيًّا، كان يسوده الهدوء، يسوده التفاهم.

ردت والدته في حسم:

- ماتكلمش المأذون يا محمد ... أنا مش عايزه اتطلق .. أنا عايزه اعيش ف حضن ابوك الحبه اللي فاضلين ف عمرنا ... وعايزه اروح اعيش معاه هناك.

- ماما إنتي بتتكلمي بجد؟

ترد وهي تبكي وتبتسم في الوقت ذاته:

- آه بتكلم بجد .. اللي أبوكوا عملوا معايا طول حياته يستاهل مني أعيش معاه العمر كله.

احتضنها محمد وسلمى، وقبَّل رأسها لما بثته من فرح داخلهما. ها هي إحدى مشاكله قد حُلت بمفردها، حُلت بكلمة. يتمنى أن تتحدث زوجته عنه مستقبلًا كما تحدثت والدته عن زوجها. الآن يسعى لتكون سيرته طيبة كوالده.

منذ فترة طويلة لم يذهب محمد إلى عمله وهو في تلك السعادة. أخبر نور بما يحمله من جديد وهو في طريقه إلى عمله تنفيذًا لاتفاقهما. شعر لوهلة أن نور سعيدة أكثر منه بكثير، طلب منها أن تأتي هي وماجدة إلى بيتهم يوم الخميس كما اقترحت والدته، وطلب منها أن تخبر خالتها ومريم أيضًا؛ ليزيد التعارف، ولتكون آخر مقابلة قبل سفر والديه واستقرارهما في محافظة أخرى .. وافقت نور من دون تردد، لكنها لا تعلم قرار ماجدة بعد!
قبل أن تهم نور بالذهاب إلى جامعتها، فكرت في أن تخبر والدتها باقتراح محمد، فدخلت عليها الغرفة لتجدها تتحدث في هاتفها، لكن بمجرد رؤية ماجدة لنور، تركت هاتفها وارتبكت، وكانت في حالة لأول مرة نور تجدها فيها!

- في إيه يا ماما كنتي بتكلمي مين؟

ماجدة حاولت أن تخفي ارتباكها في عصبيتها المعتادة:

- إيه كتتي بتكلمي مين دي؟! .. داخله فجأه كده؟! عايزه إيه؟!

- محمد كان كلمني.. قالي إن مامته عزمانا ع الغدا يوم الخميس عشان هتسافر مع عمو البلد وهيعيشوا هناك.

- آه يا حبيبتي نروح وماله.. يلا عشان ماتتأخريش على جامعتك.. وإن شاء الله نروحلهم يوم الخميس.

تعجبت نور من موافقة أمها دون تردد أو استجوابات! لكن نور حمدت الله؛ لأنها لم تكن تريد أن تخبرها أن والدي محمد لن ينفصلا، لعل ذلك يشب في قلبها الغيرة، على رغم من أنها ستعلم في كل الأحوال.

- طيب تمام يا ماما أنا هنزل بقى عشان ماتأخرش.

لاحظت نور أن مريم تشعر بغربتها منذ خطبتها، تشعر أن نور تبتعد عنها من حين إلى حين، فقررت أن تعيد الحال إلى ما كان عليه. أصبحت تعيرها اهتمامًا أكثر، وكانت مريم سعيدة بذلك .. ولدت مريم لتجد نور أكبر منها بسنة.. أمهما كانتا تربيان فيهما الأخوة بينهما، وكانت تزيد مع الوقت. فعلت مايسة المستحيل لتسجل لمريم في مدرسة نور قبل سنة من ميعاد تسجيلها ليكونا معًا طيلة دراستهما، وكان ذلك يجعل ماجدة ومايسة مطمئنتين على بنتيهما. ارتبطتا ببعضهما ارتباطًا وثيقًا

كالتوأم، لا يفارقان بعضهما أبدًا. يشجعان بعضهما للتفوق في الدراسة منذ أيام المدرسة وحتى الجامعة. تفرقتا عند الالتحاق بالجامعة بسبب قرار ماجدة تغيير السكن. حاولت مريم بكل الطرق إقناع مايسة للانتقال إلى سكن قريب من نور، حتى تلتحق معها بنفس الجامعة، ونجحت في ذلك بعد أن أنهت ثلاث سنوات في كلية الآداب بقسم الجغرافيا. كذبت على الجميع حين أعلنت أنها تريد الالتحاق بتلك الكلية لتكون بجانب نور وقتًا أطول، كانت تتمنى أن تدرس في كلية الحقوق. كانت دائمًا تريد أن تبقى مع نور، حتى إذا كان ذلك يعارض طموحاتها.

بعد تغير الأحوال، قررت أن تحقق حلمها، خاصة بعد فشل مريم في نيل إعجاب فارس الأحلام بها وإعجابه بنور. قررت أن تركز في مستقبلها أكثر. أخبرت والدتها أنها تريد أن تتم دراستها في الجامعة، ثم تبحث عن فرصة عمل في الخارج وتسافر مع والدتها لتبدأ حياتها الجديدة. علمتها الحياة مؤخرًا أن مصلحتها يجب أن تكون أولى أولوياتها. لا أحد سيهتم بها سواها.

* جاء يوم الخميس *

بعد أن انتهى الجميع من تناول الغداء الذي أعدته والدة محمد بعناية كي ينال إعجابهم، طلب محمد أن يجلس مع

نور في الشرفة حتى ينتهوا من تناول الشاي الذي أعدته سلمى تعويضًا عن عدم مساعدة والدتها في إعداد الغداء، وجلس البقية يتحدثون عن أحوال البلاد، وبدا والدا محمد وسلمى كعروسين جديدين، تحاول والدته أن تصلح ما أفسده الزمن، تحاول أن تبث الحب في علاقتها مع زوجها الذي ضحى من أجلها منذ بداية زواجهما حتى الآن، تحاول أن تسعده، فهمت ماجدة ما أخفته عنها نور بشأنهما، لكنها حاولت أن تبدو طبيعية تتحدث وتضحك وتحاورهم، حتى والدا محمد لاحظا تغيرًا في ماجدة. منذ يومين فقط كانت ضد زواج محمد ونور، وكانت تتجنب أسرتهما الصغيرة .

في البلكونة:

- إيه رأيك ف بلكونتنا؟
- حلوه يا بختكوا إحنا شقتنا كلها شبابيك بس.
- قري على شقتنا بقى.
- آه براحتي على فكره.
- براحتك ياباشا .. ماقولتليش مامتك عجبتها الشنطه ولّا إيه؟
- آه عجبتها جدًّا وعجبها ذوقك كمان.
- حاسس كده والله أعلم إنك بتضحكي عليا بس ماشي.

- سيبك من الشنطه دلوقتي .. وصلت لإيه مع مامتك وباباك ؟
- ماما قررت إنها تسافر مع بابا البلد .. وإن ده أنسب قرار وأنا وسلمى هنقعد هنا لحد مانحدد معاد جوازنا. وهنشوف سلمى حابه تعيش فين.. بس هي نفسها تروح تقعد مع بابا وماما.. وبصراحة أنا مبسوط من ناحية فكرة سفر ماما وبابا.
- محمد هو انت ليه مسألتنيش عن بابا قبل كده؟
- سلمى كانت قالتلي إنه هو ومامتك منفصلين من سنين طويله وإنه سافر بره وانا ماحبتش أضايقك بسؤالي.. قولت انتي لما تحبي تحكيلي هتحكيلي.
- يعني بعد ماحكي هتفضل عايز تتجوزني برضو ؟
- إيه الهبل ده! أنا هتجوزك انتي مش هتجوزه هو.
- بص يامحمد .. ماما وبابا ماكانوش متفقين مع بعض خالص .. ماما اتجوزته وهي مش بتحبه.. جدو اللي أجبرها إنها تتجوزه زي أي حد ف الزمن بتاعهم.. كان عمل كده مع خالتو قبل ماما.. ماما حملت قبل خالتو وخلفتني وبعدها على طول خالتو خلفت مريم .. ماما دايمًا كانت بتقارن حياتها بحياة خالتو لحد ماكرهت بابا.. وبابا كمان كرهها زياده واتجوز عليها وجدو خلاهم يطلقوا.. هو سافر وبيسأل عني كل سنه مرة وانا فضلت مع ماما واتأقلمت مع عقدها ف الحياه .. كنت بخاف أفشل زي ناس كتير.. بس بقول يمكن هتعلم منهم..

شعر محمد أنها ستنفجر بكاءً، فحاول أن يمنع ذلك:

- إنتي بتحكي ده كله دلوقتي ليه؟.. ماتفكريش بالطريقه دي .. صوابعك مش زي بعضها .. إنتي مش مامتك وأنا مش بابكي .. أمال قرفانا بس بدرس علم نفس وأديكي متشحتفه اهو..

ابتسمت نور ..

كيف يفعل محمد ذلك بقلبها ويجعله يهدأ بكلمة ؟!

قاطعتهما سلمى:

- جوزين كناريا ياخواتي..

- أهي الرغايه جت.

- على طول بتشكر فيا أودام الناس .. أنا غلطانه إني جايه أونسكوا يعني ؟

- جايه تونسينا ولّا ترخمي علينا ؟

- الاتنين بصراحه... هي مريم وطنط ماجوش ليه يانور ؟

- مريم قالتلي إنها رايحه مشوار مع كريمه بنت عمها وخالتو عندها شغل النهارده.

- يا خساره.. كان نفسي أشوف مريم.. بقالي كتير ماقعدتش معاها ... المهم ماما بتقولكوا تعالوا اقعدوا معانا شويه عشان مامت نور عايزه تروح وماما مسكت فيها تفضلوا شويه.

- طب يلّا نقوم عشان امي هتبوظ الدنيا .. ده لو ماكانتش بوظتها يعني.

- طيب عشان مش هعرف اتكلم معاكي أودامهم .. أول ماتروحي افتحي الفيس عشان عايز أبعتلك حاجات آخد رأيك فيها.

- حاجات إيه ها ؟

- بس يا حشريه انتي.

- طب بس ماتتخانقوش.. يلّا نطلعلهم بدل مايرمونا من هنا.

لم تعتد نور على أن تتحقق أمُنياتها، حتى إن كانت سهلة. دائمًا هناك عقبة. مُؤمنة بأن ماجدة ستظل هي العقبة في

طريق زواجها، سواء كان بمحمد أم بغيره.. زُرعت عُقدة بداخلها تجاه جنس الرجال، لكنها لم ترها عُقدة أبدًا، وهذا ما يجعل الأمر يزداد سوءًا.

وصلت نور مع والدتها إلى منزلهما. كانت تخشى من أن تنفجر العاصفة عقب وصولهما، فهي لم تعتد على الهدوء الذي تحلت به ماجدة تلك الأيام.

نفذت نور ما طلبه منها محمد.

- أديني فتحت.. ها احكيلي.. كنت عايز تقولي إيه؟
- أنا جايلي شغل ف اسكندريه أحسن من الشغل اللي أنا فيه بكتير.
- وبعدين؟
- مش عارف أعمل إيه! ... إحنا لسه بدري على معاد فرحنا ولازم أبقى موجود هنا عشان الشقه والتجهيزات وبابا وماما هيسافروا الأسبوع الجاي ومش هينفع اسيب سلمى وانا مستني الفرصة دي من زمان.
- سيبها على ربنا وصلي استخاره وكده كده شغلك هنا مش وحش.
- حسن اللي كان جايبلي الشغل ف الصيدلية اللي هنا والصيدلية شغلها قليل.. أنا بحس إني ماستحقش المرتب ومش حاسس إني بتطور.. حاسس إني واقف مكاني.
- طب ليه ما فكرتش تدور على شغل أحسن هنا.
- حسن شغلني معاه بطلوع الروح.. صاحب الصيدليه ماكانش موافق ودورت قبلها كتير وماكنتش بلاقي.

- طيب صلي استخاره واستنى لما نشوف الدنيا هتمشي ازاي..
- تمام ... يلَّا قومي زاكري شويه ونامي وانا شويه وهنام.
- ماشي ... سلام.
- سلام.

الفصل الخامس
(دائمًا هناك أولويات)

سمعت صوت خطواته بالخارج، لكنها تخشى أن تقف فيصيبها الدوار وتقع أرضًا. وصل حتى باب الغرفة وهو يناديها وهي لا تجيب. يطرق الباب استئذانًا للدخول وهي ما زالت صامتة. فتح باب الغرفة وأضاء النور، فوجدها مستلقية على السرير، وجهها يغطيه احمرار بسبب ارتفاع حرارتها، فاقترب منها ليجدها تنظر له ثم تغمض عينيها لا تنطق بكلمة ولا تتحرك. صعد لأستاذ إبراهيم، الموظف المسئول عنهم في رحلتهم، أخبره بمرضها، فنزلت زوجته مع سالم لتكون جوارها، فهي طبيبة وستفهم حالتها. دخلت شقتهم فوجدت الوسادة والغطاء على الأريكة في الصالة، وغالبًا فهمت أن سالم لا ينام بغرفتها .

بدأت تستوعب ما يدور حولها، وجدتها جالسة على كرسي بجانب سريرها:

- صباح الخير.

سعلت أكثر من مرة قبل أن تجيبها.

- صباح النور.
- كل ده نوم .. حمد لله على سلامتك.
- الله يسلمك .. هو سالم مارجعش؟
- لا.. رجع وراح شغله من بدري.

ثم أردفت:

- على فكره ده بيحبك أوي.

لم تفهم ما تقوله، فابتسمت لها حتى لا تثير الشك.

- كان بيفضل سهران جنبك طول الليل ومش بينام ومابينزلش شغله غير لما يطمن إني معاكي وكان خايف وملهوف عليكي جدًّا.

لولا وجع جسدها الذي سيطر عليها، لقفزت من على فراشها فرحًا.

- المهم شدي حيلك يلا عشان خلاص المؤتمر فاضل عليه أيام.. أنا هطلع انا أحضر الغدا وجهزتلك كام حاجه كده وسيبتهم ف التلاجه عشان ترتاحي شويه كمان.

- تعبتي نفسك ليه؟

- لا مانقوليش كده.. مافيش تعب ولا حاجه.. إحنا جيران برضو وف غربه .. أنا هستأذن بقى ولو احتاجتي أي حاجه أنا موجوده.

- ربنا يخليكي متشكره جدًّا.

- يلَّا مع السلامه.

- سلام.

ماهذا الألم كله؟! لم تكن حمى، كانت غيبوبة، تشعر بصداع في رأسها أغلب الوقت، تريد أن تعرف أين كان تلك الأيام ولماذا عاد؟!

رأته يدخل البرج الذي يقيما فيه، فارتسمت ابتسامة على وجهها.

- سلام عليكم .. حمد لله على سلامتك.
- الله يسلمك.
- بقيتي أحسن؟
- آه الحمد لله أحسن بكتير.
- إنتي إيه اللي تعبك كده؟
- كنت عايزه أفهمك إيه اللي حصل وانت مادتنيش فرصه فكنت بستناك كل يوم ف البلكونه عشان أبقى صاحيه لما تيجي وافهمك.. بس الظاهر ماتحملتش الجو.

يبدو أن كلماتها أشعرته بالخجل من نفسه!

- أنا آسف بجد.
- حصل خير .. أنا بس كنت عايزه أفهمك .. أنا كلمتها عشان أعرفها إنك بتتعب عشانها وعشان تبقوا سوا ماكانش قصدي يبقى في مشكله بينكوا وقولتلها إني زميلتك ف الشغل.
- لما كلمتها ماقلتليش كده .. قالتلي إنك قولتلها إني بحبك وجينا هنا عشان نتجوز فأنا ماتحملتش الكلام.
- والله أنا ماقولتش كده.
- أنا عارف.

- عارف منين؟

- سميره فرحما النهارده.

الدموع ملأت عينيه، لكنه كرجل شرقي صعيدي لن يسمح لها بأن تنهمر..عادات عقيمة!

- عملت كل الفيلم ده عشان تتجوزه وضميرها مرتاح..كانت بتتلكك يعني.

- مش عارفه أقولك ايه!

- ماتقوليش حاجه..كل اللي ربنا عايزه بيبقي خير لينا .. المهم أنا آسف تاني على عصبيتي معاكي.. أنا بس كنت مصدوم ومش فاهم إيه اللي بيحصل!

- ولا يهمك أنا مقدره ده.

- يمكن ربنا خلاكي تعملي كده عشان أعرف حقيقتها.

- ربنا هيكرمك وهيعوضك إن شاء الله.

- يا رب.

ثم تنهد وكررها ثانية.

- عرفتي حاجه عن المؤتمر بتاعك؟

- المفروض أروح بكرا بدري عشان أسجل اسمي تاني.. هتأكد يعني مش أكتر وفي شوية ورق كده هخلصهم وبس.

- على خير إن شاء الله .. يلّا ادخلي ارتاحي شويه عشان تعرفي تخلصي الحاجات دي بكرا.

- ماشي .. تصبح على خير.

- وانتي من أهل الخير.

تركته ذلك اليوم وهو يبدو متماسكًا، لكنها متاكدة أن بداخله براكين ستثور فجأة دون مقدمات، لا تجيد التصرف في المواقف تلك، لكنها تشعر به جيدًا، فالقصة نفسها تتكرر أمامها. على كل حال، احترامها له يزداد يومًا بعد يوم.. أنهيت تجهيزاتها للمؤتمر، وبدأت تتمرن على كلمتها التي ستلقيها في ذلك اليوم، وكان يساعدها فيها، وقد نالت أبحاثها إعجابه، وحاول أن يقنعها أنها ستعجب الجميع في المؤتمر، لكن التوتر مازال يسيطر عليها...

لم تأتها الراحة طوال الليل، تسير هنا وهناك، تتخيل شكلها في المؤتمر، تعلم أنه لم ينم مثلها، لكنه حاول أن يتظاهر بالنوم، وحاولت ان تبدو مقتنعة بأنه نائم ليأتي يوم المؤتمر.

في الصباح بدأت تستعد وتهدأ قليلًا، فدائمًا توترها هذا يعيدها لنقطة الصفر، لكنها لن تسمح له هذه المرة. فربما تكون الأخيرة.

قرر أنه سيحضر معها بعد موافقة مديره في العمل. بالنسبة لها كانت سعيدة لذلك، لا تعلم السبب! لكن يكفي أنه يحاول مساندتها.

ارتدت فستانًا رسميًّا بعض الشيء، رغم أنها لا تفضل الرسميات مطلقًا، وارتدي هو بذلة قد اشتراها خصيصًا لذلك اليوم:

- يا سميحه هتتأخري يلّا.

جاء صوتها من داخل الغرفة ردًّا عليه:

- خلاص أهو خلصت وخارجه.

خرجت من الغرفة، وجدت شكله أنيقًا. لأول مرة تراه هكذا. دائمًا يرتدي ثيابًا تريحه في العمل، وهو أيضًا، ملامحه بدت راضية عن مظهرها، رغم أنها لم تضع أي نوع من مستحضرات التجميل على وجهها، وأن فستانها لم يكن ملفتًا. قاطعت كلماته نظراتهما التي استمرت لثوانٍ:

- إيه الجمال ده!

ابتسمت في خجل، وشكرته على مجاملته، ووجدته يمد يده ليمسك بيدها، انتفضت لما فعله! فمنذ زواجهما لأول مرة يقتربان لهذه الدرجة..

في المؤتمر:

دخلا المؤتمر بعد محاولاته في تهدئتها، يفشل مرة وينجح مرة.

استقبلهما مؤسسو المؤتمر، ووجدت مديرها موجودًا، ورحب بها وشجعتها كلماته كثيرًا، وطلب من سالم أن يجلس معه على نفس الطاولة حتى تنتهي من دورها في المؤتمر، ولم يعترض سالم، بل بالعكس.

جلست معهم في بداية المؤتمر لتسمع كلمات زملائها وزميلاتها، وتتوتر أكثر، فالكثير منهم أبحاثهم وأداؤهم أكثر من رائع.

وفجأة سمعت اسمها يُنادى .. جاء دورها.

تماسكت لتنهض؛ لتجده يمسك بيدها، فيجدها ترتجف، قرَّب فمه من أذنها لتسمعه يقول:

-ماتخافيش هتبقي أحسن واحدة ربنا معاكي.

أخذت نفسًا عميقًا وصعدت على المسرح..

وقفت أمام المنصة، واقتربت من الميكروفون وبدأت...

***

تقترب الاختبارات، وتنهمك نور ومريم وسلمى في أدائها، تحاول مريم أن تنعزل عن الجميع تلك الفترة، عليها تنفيذ ماعاهدت نفسها عليه، عليها تعويض نفسها عن تلك الخيبة التي حطمت أول أحلامها. دائمًا تعاتب نفسها: أكانت محقة حين بدت غير مهتمة بحب محمد

لنور، أم كان عليها توبيخ نور لما أخفته عنها عن إعجابها بمحمد؟! تعيش مريم بدعاء والدتها، دائمًا تدفعها للخير، تتمنى لها حياة أفضل ...

- قررت هتعمل إيه ف موضوع السفر والشغل؟

- مش عارف يا حسن!.. بس الفرصه دي ماتتعوضش .. بس ماعنديش حل غير إني أفضل هنا .. لو انا ماروحتش روح انت الفرصه كويسه جدًّا.

- يابني روح خساره.

- بفكر اتكلم مع صاحب الصيدليه هنا وادخل معاه شريك.

- بجد؟... طب كويس.

- ربنا يسهل إن شاء الله.

رن هاتفه، وجاءه خبر لم يكن في الحسبان!.... أخبرته نور أنها تريد مقابلته حالًا بالقرب من عمله، ولكن صوتها يشير إلى مشكلة أكبر.. أكبر من كل ما مر عليه!

- أنا آسفه يا محمد إني خليتك تسيب الشغل فجأه.
- إيه اللي حصل؟
- مش عارفه هو عرف ازاي.. والله أنا ماقولتش لحد!
- إهدي عشان أفهم .. هو مين وعرف إيه؟!
- بابا..

وقعت الكلمة على محمد كبيت هُدم دون سابق إنذار ... مات كل من سكنه وعمر الخراب مكانه!

- ماله؟!

تستيقظ نور من نومها على صوت طرق الباب، تشعر أن أصابع الطارق تدق على رأسها لا على الباب، يؤلمها رأسها لسهرها الزائد الفترة الأخيرة، تتمنى أن توقفه أمها وتفتح الباب، فربما حين تقف طرقات الباب تقف دقات رأسها أيضًا، لكن دون جدوى.

هبت نور لتتولى ذلك الأمر.. من منا لا يحب المفاجآت؟! من يقول إنه لا يحبها كاذب! هو يحبها، لكن نصيبه كان في مفاجآت مناقضة لأحلامه ورغباته، لذلك نفر منها، لكنه إذا أتته واحدة مرضية له، سيعلن عن حبه لها، وسيتمنى أن يصبح كل يوم على مثلها. والعكس كذلك. هناك هائمون بالمفاجآت، ومع أول صدمة يتجنبون ما يفتقد ترتيبهم! ترى كيف سيكون حظها اليوم؟!

فتحت نور الباب لكن :

ما زال الطارق مجهولًا بعد ... حاولت نور عصر مخها لتتذكر أين رأت تلك الملامح؟!...نعم .. رأتها في صور

تحتفظ بها أمها تريها إياها من حين لآخر حتى لا تنسى ذلك الوجه.

- بابا ..
- ممكن أدخل؟
- اتفضل.

كانت أصعب كلمة تنطقها نور .. لم ترد ذلك، لكنها لن تمنع والدها من الدخول.

- أمال ماجده فين؟
- مش عارفه أنا لسه صاحيه مالقتهاش.
- كبرتي يا نور.

تضحك نور بداخلها .. أأتى والدي اليوم ليلاحظ أنني كبرت عن المرة الأخيرة التي لم أتذكرها أبدًا!.. لم تجد ردًّا مناسبًا لتلك الكلمة ففضلت الصمت.

- مبروك..
- على إيه؟
- على الخطوبه .. كنت أتمنى أبقى موجود.. بس ماظنش إنك تتمني إني أبقى موجود.

كيف علم بخطبتها؟! لا توجد صلة بينها وبينه منذ سنوات! حاولت بشتى الطرق أن تخفي ذلك عن أشخاص تبعد عنهم بأمتار وهو الذي عاش في قارة أخرى يصله الخبر بتلك السرعة؟!..

- الله يبارك ف حضرتك .. بس حضرتك عرفت منين؟!
- فاعل خير زي مابيقولوا ... ماكنتيش عايزاني أعرف كمان؟!
- لأ طبعًا ازاي؟
- بقيتي ف سنة كام؟

هه .. علمت بأمر خطبتي ولا تعلم بأي سنة أكون؟! كيف منحوك لقب أب؟! أنت لا تمت للآباء بصلة.

- رابعه .. رابعه آداب علم نفس.
- طب كويس .. أنا قاعد ف مصر أسبوعين وهرجع تاني عشان وفاء والأولاد لوحدهم.
- أولاد؟!
- رحمه خمس سنين ورامز عشره .. إخواتك.
- آه .. ربنا يباركلكوا فيهم.
- يارب .. المهم أنا الفترة اللي أنا قاعد فيها هنا عايز اتعرف على خطيبك.
- آه طبعًا إن شاء الله.
- طيب هستأذن انا دلوقتي.

- نورت..

أمسكت نور بهاتفها لتخبر أمها عن تلك الواقعة.

- ماما إنتي فين؟
- أنا سافرت طنطا الصبح يا نور عشان أعمل تحاليل وأشعه هناك وهاجي كمان يومين.
- فجأة كده؟!
- معلش يانور مارضيتش أصحيكي عشان عارفه إنك سهرانه بتزاكري .. في حاجه؟
- لأ مافيش.. خدي بالك من نفسك.
- حاضر وانتي كمان ..سلام.
- سلام.

لم تتوقع نور ردة فعل أمها حين تعلم بخبر عودة أبيها، فقررت أن تنتظر حتى تعود، لكنها لا تستطيع أن تتحمل ذلك بمفردها .. ما الذي عليها فعله؟! محمد ..

- ماعرفتش أعمل إيه كلمتك على طول .. أنا خايفه أوي يا محمد.
- ماتخافيش.. بس حاولي تقعدي مع خالتك ومريم لحد مامامتك ما ترجع.
- ليه يعني؟!
- إسمعي الكلام لحد مانفهم هو عايز إيه..

- حاضر.
- هخلص شغلي واكلمك وماتشغليش بالك بحاجه غير الدراسة لحد ما الامتحانات تخلص.
- ماشي أنا هروح على مريم على طول وبعدين هاخدها معايا أجيب هدوم ليا وهقعد معاهم.
- طب تعالي هوصلك أنا على البيت عندك وهستناكي تحت.. حضري حاجتك وبعدين أوصلك عند مريم.

روت نور كل ما حدث لمريم فور وصولها .. تعجبت نور من تقبل مريم للموقف! لم تنصدم كما انصدمت هي؛ مما جعلها تشعر أن مريم شامتة فيها أو غير متفهمة لما يحمله قلبها! بدأت تقلق من فكرة الزواج. هناك حكمة من كل تلك العواقب التي سدت طريقها ..

ساعدتا بعضهما حتى تنهي كل منهما دراستها، ربما يخف توترهما أيام الامتحانات .. كانت سلمى متفوقة عن نور، وكانت نور تستعين بها كثيرًا وكذلك مريم ... تحاول سلمى أن تتوطد صلتها بنور وتتمكن من إقناعها بأن تحدد ميعادًا مع والدها قبل عودته إلى بلده الثانية

ليتعرف على محمد وكان محمد قد طلب منها ذلك. وافقت نور بعد إلحاح شديد من الجميع، حتى من والدتها التي لا تنطق اسم والدها إلا ويليه كلمة (بكرهه). عندما عادت وعلمت بما حدث طلبت من نور أن تقبل طلب والدها.. هو في كل الأحوال أيام وسيغادر.

محمد كان أكثرهم إلحاحًا، كانت بداخله رغبة ليتعرف على من جعل بداخل نور ذلك الألم، يحاول أن يتجنب أن يشبهه حتى ولو قليلًا لذلك أراد معرفته عن قرب.. وحدث ذلك فعلًا..

حدد موعدًا للقائهما، وحضر محمد في الموعد:

-إزيك يا محمد؟

- الحمد لله بخير ياعمي.. نورت مصر.

- مصر دايمًا منوره..

- أمال سبتها ليه؟

- عشان لو فضلت فيها هجرح ناس كتير بحبهم.

- ولما تمشي هتجرحهم برضو.

- بيتهيألك .. أنا جربت الاتنين.. المهم سيبك مني أنا دلوقتي .. أنا عايز أسألك سؤال واحد بس..

- إتفضل.

- إنت بتحب نور بجد؟

- لو ماكنتش بحبها بجد ماكانش زماني قاعد مع حضرتك دلوقتي ... أوعدك إني هحطها ف عيني.

- ربنا يهنيكوا ببعض ... أتمنى ماتعملوش زي الخطوبة وتعزموني على الفرح.

- طبعًا حضرتك هتبقى موجود.. أمال انا هحط إيدي ف إيد مين ف كتب الكتاب؟

- ردودك مترتبه يا محمد.

- مش فاهم.. دي حاجه حلوه ولّا حاجه وحشه؟

ابتسم والد نور وغير اتجاه الحديث:

- اتشرفت بمعرفتك يا محمد.

- وانا كمان.. بس ممكن قبل ما امشي أسأل حضرتك سؤال؟

- اسأل..

- هو حضرتك عرفت منين موضوع الخطوبه؟

- حد كان عايز يبوظ الجوازه.. وانا كنت جاي أبوظها الحقيقه.. بس لما شوفتك عرفت إنك هتعمل لنور اللي أنا ماعرفتش أعملهولها وأنا مابكرهش نور.. بس هي الظروف جت كده ونفسي تبقى مبسوطه..

رغم رفض محمد لكلمة ظروف تلك، إلا أنه حاول أن يوقف الحديث عند تلك النقطة، فربما تطويله يعيد تفكير والد نور إلى ماجاء إليه في الأساس.

- نورت يا محمد..
- متشكر بعد إذن حضرتك.

- مع السلامه.

على الفور، أخبر محمد نور بكل ما دار في تلك المقابلة، وطلب منها أن يتقابلا ليحكي لها التفاصيل وأنه عليهما استغلال يوم إجازته، واقترحت نور أن يلتقيا في كافيتريا بجوار النيل:

- سرحان ف إيه؟
- ف كلام باباكي.
- إشمعنا؟
- مش عارف.. حسيت في كلامه بغموض غريب كده وماكنتش فاهمه بصراحه.. بس اطمنت من ناحيته وماظنش إنه هيقف ضد جوازنا.
- أنا بس هموت واعرف مين اللي قاله على الخطوبه!
- سألته وماقليش إجابه مفيده.. بس قالي إنه حد عايز يبوظ الجوازه!
- يعني هيكون مين اللي مش عايزنا نتجوز؟!
- لا.. هما كتير الحقيقه.
- ضحكت نور لإجابته السريعة: بص.. أنا ف الأول كنت فاكره إن مريم هي اللي قالتله لإني لما حكيتلها ماستغربتش وقالت إن الموضوع عادي..
- أكيد هنعرف وكل حاجه هتيجي ف وقتها.

بابا وماما هيسافروا اليومين دول خلاص.. وبفكر اروح معاهم أوصلهم واسلم على قرايبنا هناك عشان أبقى متطمن عليهم.

- إيه ده! أنا وسلمى امتحاناتنا هتبدأ يوم الحد ومريم بدأت إمبارح خلاص .
- مانا كنت شايل هم الموضوع ده لإني عارف إن سلمى هتمل وهي لوحدها.
- ماتخافش.. أنا أول ما أصحى كل يوم هروح أقعد معاها أو هي تجيلي ونزاكر سوا.
- ياريت يانور .. لو ماما وبابا هيستقروا هناك إعملي حسابك إننا هنتجوز بعد النتيجه.

نور.. إحنا كل مابنتأخر بتطلعلنا مشكله جديده ومالوش لازمه التأخير.

- طب والشقه؟ هنعمل فيها إيه؟
- هنعيش ف البيت عندنا ونبقى قريبين من مامتك ومن شغلي.
- وسلمى؟
- لما اتكلمت معاها ف الموضوع ده اقترحت إنها تسافر مع بابا وماما وتيجي كل فتره تقعد معانا وترجع تاني.
- سلمى طيبه أوي يا محمد يابختك بيها.
- يابختي بيكوا..

(الحب في المقام الأول أفعال، لكن ذلك لا يمنع أهمية الكلام وما يحدثه من تغيير، فربما كلمة واحدة تقلب كيانك كله.. كلمة (أحبك) التي لم يُفهم معناها الباطني

بعد.. عرفنا معناها الحرفي واعتدنا عليها، لكن لا أظن أن هذا فقط هو مغزاها. تمكنت من بناء علاقات قوية، علاقات مؤبدة، لكنها تبقى كلمة اعتيادية، هناك الأقوى منها).

استعد الجميع لأداء مهامه..
محمد سافر مع والديه بعد معاناة لإقناع مديره لمنحه إجازة، لكنه وافق في النهاية.

أوفت نور بوعدها، وظلت بجوار سلمى حتى لا تشعر بالوحدة.
مريم عليها أن تفوز بالتحدي.
ماجدة ومايسة، تتسع بينهما المسافات مع الأيام، والغريب أنهما مؤيدتان ولم يظهر أي توضيح لذلك!
نور لديها مهمة إضافية، عليها أن تقنع والدتها بتعجيل موعد زواجها ...
لأول مرة تقف الحياة بصف نور، ماجدة توافق بسهولة، لكن كعادتها دائمًا، لديها شروط، هذا مقابل ذاك. هكذا هي الحياة. شرط ماجدة الوحيد أن تنجح نور بتقدير ثم تفعل ما تشاء، لم يكن الشرط صعبًا بالنسبة لنور، لكنه لم يكن هينًا، فالاختبارات قد بدأت منذ أيام، وهي لم تكن

مطمئنة تجاه أدائها فيها. وليكن ... ما زالت هناك فرصة .. ما زالت هناك مواد لم تختبر فيها بعد..

أقام محمد بعض التعديلات في الشقة؛ أملاً في أن يكون كل شيء جاهزًا بعد انتهاء الاختبارات، وتعاونه سلمى على ذلك، رغم انشغالها بدراستها .. طلب محمد من والد نور أن يمد إجازته في مصر حتى يتم زواجهما ووافق، واقترح عليهما المساعدة، لكن محمد أخبره أن وجوده يكفي.

تنتهي الاختبارات وقد انتهى محمد من مهام الشقة، وظهرت الشهادات، وكان الجميع منتظرًا لذلك اليوم، واتفقت نور وسلمى على الذهاب لمريم بعد أن أخبرتهما عن أنباء ظهور الشهادات على الموقع الخاص بالجامعة:

- أيوه يا محمد..
- ها طمنيني يا سلمى.. عملتوا إيه؟
- أنا نجحت الحمد لله.
- طب مالك متضايقه ليه كده؟
- خد نور معاك:
- إزيك يا محمد؟
- إيه يا نور ... إنتي بتعيطي؟
- آه .. أنا شايله مادتين يا محمد..

- لا حول ولا قوة إلا بالله ... خلاص فداكي.

ليسمع صوت زغاريد فجأة:

- هههههه ضحكنا عليك.
- إخلصي.. عملتي إيه وقعتي قلبي؟
- جيد جدًّا.. أنا وسلمى ومريم امتياز.
- الحمد لله يارب الحمد لله ... حسابكوا معايا بعدين على المقلب ده..
- هههههههههههههه...
- طيب أنا عندي ليكي مفاجأة بمناسبة النجاح.
- إيه هي؟
- لما نتقابل هتعرفي.
- لا قولي دلوقتي.
- لا.. لما نتقابل هخلص شغلي وهعدي عليكي تكوني جاهزه.
- ماشي اتفقنا.

وصل محمد في ميعاده منتظرًا نور، ليجدها تركض على السلالم لتصل إليه بلهفة، ليمسك بيدها ويقترح أن يسرعا إلى حيث توجد مفاجأتها سيرًا... يخبرها عن تعديلاته في منزلهما المستقبلي.

- كان نفسي أنا اللي أجهز شقتي.

- هو مش انا وانتي واحد؟ وبعدين المهم نبقى سوا.
- إوعدني يا محمد إننا مش هنفضل ف الشقه دي على طول.. وإنك هتجيبلي شقه تبقى بتاعتنا إحنا.
- أوعدك.

ليصلا إلى مطعم مشهور.. تحب نور تصميمه وخدمته جدًّا ... فرحت حين رأت نفسها أمامه، وظنت أن تلك هي المفاجأة لتدخل وتجد مفاجأة أكبر! الجميع هنا : خالتها، ومريم، وماجدة قد وصلت قبلهما، وسلمى، وحسن صديق محمد المقرب، يجلس مع والدها.. علمت أن ذلك الاحتفال فكرة والدها بالتخطيط مع محمد، أرادا أن يحتفل الجميع بنجاح الفتيات، وأيضًا للاحتفال بعيد ميلاد نور الذي بقي عليه يومان.. لكن أين مفاجأة محمد إذن؟

- مبروك وكل سنه وانتي معايا.
- آه قول كده بقى.. إنك ضربت عصفورين بحجر واحد.. ياترى بقى جيبت هديتين ولّا هديه واحده برضو؟
- ماديه حقيره ... هديه واحده بصراحه.
- شوفت أنا عندي حق ازاي!
- طب اعرفي هي إيه الأول.
- هههههه أنا بهزر .. كفايه إنك فكرت فيا.

وقف محمد وأمسك بهدية صغيرة مغلفة بشكل ملفت..

- بصوا ياجماعه.. أنا ماليش ف الرسميات.. فأنا هخلي نور تتولى الموقف.

لم تفهم نور كلماته، فوقفت بجانبه، وفتحت الهدية لتجدها (دعوة فرح محمد ونور).

في باخرة، ظلت نور تُخبر محمد أنها تتمنى أن تقضي يومًا معه فيها، كادت تحتضنه من فرحتها، لكنها تمكنت من السيطرة على ذلك.. بارك لهما الجميع، حتى مريم، كانت سعيدة بذلك القرار.. ظنت أن هذا يجعلها توقف تفكيرها في محمد أكثر.

رغم فرحة نور بكل ذلك، إلا أنها شعرت أن محمد باله مشغول بشيء ما!

- في إيه يا محمد؟
- في حاجه غريبه!
- حاجه غريبه ازاي؟!
- بصي حسن وباباكي.. مندمجين مع بعض ازاي!
- طب فين المشكله؟
- ماظنش إن دي أول مره يتقابلوا فيها.
- قصدك إيه؟!
- أنا نفسي مش فاهم.. هفهم واقولك.

انتهى الجميع من تجهيزات حفل الزفاف. كان الحفل بسيطًا كما طلبت نور، لم تفضل الضجيج طوال حياتها، وأرادت أن يومًا كهذا يجب أن يكون هادئًا.. رغم بساطة فستانها الأبيض، إلا أنه لفت نظر الجميع، خاصة محمد. بعد عقد القران والمباركات والدعوات، غادر والد نور إلى حيث أتى. كانت والدتها تسلم عليه بحفاوة. وهذا ما جلعها تشك في أمرها! معقول هذا؟! أمي أخبرته بأمر خطبتي .. لكن لماذا؟! كان يمكنها أن تنهي الزواج قبل أن يبدأ بكلمة منها! لا يهم.. الآن زوجي أصبح هو عائلتي الجديدة، على كل حال بعد دقائق سأكون في بيتي .. بيتنا.

سافرت سلمى مع والديها كما اتفقا من قبل.. كانت راضية تجاه تلك الفكرة، وتشعر أن ذلك سيكون أحد الأسباب التي تجعل أخاها سعيدًا.. تحاول إسعاده بكل السبل.

الفصل السادس

(ربما كان علينا الرحيل، لكننا لم نستمر عبثًا)

وقفت أمام المنصة، واقتربت من الميكروفون وبدأت:

- أنا سميحه سيد من مصر.. وجايه هنا بمثل شركتي (شركة الحرية) والحقيقه الشركه دي ليها فضل كبير جدًّا عليا ماقدرش أنساه ولولا تشجيع مديري وزمايلي ماكنتش هبقى موجوده هنا النهارده ..أغلب اللي اتكلموا قبلي اتناقشوا عن الأسره.. بس بمنظور مختلف شويه عن منظوري .. تقريبًا أنا هتكلم في اتجاه تاني خالص .. هما اتكلموا عن العلاقات الناجحه والأسر المتماسكه وما شابه .. بس أنا هتكلم عن التفكك الأسري.

حاولت ألا تلتقي عينيها بعين أحد في القاعة حتى لا تتوتر أكثر، لكن بعد كلمتها الأخيرة، ألقيت نظرة، فوجدت الوجوه كلها عابسة عدا سالم .. لم تيأس وأكملت:

- عندنا في أغلب الدول العربيه مابنهتمش غير بتأهيل الأفراد علميًّا وبننسى لإننا المفروض نأهلهم إنسانيًّا عشان يقدروا يحصَّلوا المواد العلمية اللي بنحتاجها ف سوق العمل .. العلاقه الرسميه المشروعه الوحيده ف حياتنا تقريبًا هي الزواج.. معظم حالات الجواز في الدول العربيه بتبقى في سن صغير لأكتر من سبب.. سواء كانت البيئة أو الثقافة أو الجهل وأسباب تاني كتير .. وبرضو في حالات بتتجوز في السن المناسب بين ٢١ لـ ٣٠ باعتبار إن ده سن النضج والمشاركه ف سوق العمل أو المجتمع كمجمل من وجهة نظري على الأقل .. وفي اللي بيتجوز بعد كده.. بس بيبقى الموضوع أصعب لإن في السن ده بيكون العقل كبر زياده.. فبالتالي الأطراف مش بتقبل بتنازلات كتير... أنا هتكلم عن طرف واحد في العلاقه دي وهو البنت.. لإنها مش دايمًا بتبقى مخيره .. للأسف مجتمعنا الشرقي مع الوقت بيضعف البنت مش بيقويها رغم إنها بقى ليها

دور فعال جدًّا.. لكن ما زال المجتمع هو المسيطر.. وفي حاجات كتير مجتمعنا بيمنع البنت إنها تعملها غير بعد الجواز زي السفر مثلًا.. لكن في المجمل الطرفين الإتنين أهم من بعض في استمرار الزواج ده أو دماره.. سنة ١٩٩٠ وصلت نسبة الطلاق لـ ٤٠ % يعني قربنا للنص، ومن ١٩٩٠ لـ ١٩٩٢ الطلاق وصل لـ ٦٠ ألف و٥٠٠ حاله ده بالنسبة لمصر.. وممكن نقول إن النسبة دي بسبب الحالة الاقتصاديه.

بس السعودية حالتها الاقتصادية جيده.. ورغم كده بتوصل لـ ٨ حالات في الساعه ودي نسبه مش هينه أبدًا..

كتير حاولوا يشوفوا سبب عام للطلاق.. بس مافيش إحصائيه سليمه لسبب معين .. يعني وارد جدًّا إن كل حالة انفصال تكون مختلفه تمامًا عن الباقي.

طيب والدول الأوروبية؟ في أكتر من دوله أوروبيه مثقفه بشكل كبير وعندهم وعي كافي.. ومع ذلك في دول بتزيد فيها نسبة الطلاق يوم بعد يوم .. أعلى ١٠ دول عالميًّا كترتيب تنازلي :

بلجيكا هي الأعلى عالميًّا، والبرتغال بعد ما شرعت الكنيسه الكاثوليكيه الطلاق، المجر، التشيك، إسبانيا، لوكسمبورغ، إستونيا، كوبا، فرنسا، الولايات المتحدة الأمريكية وتقريبًا وصلت لـ ٥٣%

وطبعًا كل دول ليها شروطها وقوانينها .. بس الفرق إن الدول الأوروبيه بعد الانفصال غالبًا بيسود بين الطرفين علاقة احترام متبادله ولو في أطفال تقريبًا ما بيتأثروش بشكل كبير زي عندنا.

الغرض من بحثي إني أوضح إن الزواج بقى مجرد مشروع ومش مضمون كمان.. ممكن يستمر شهر، سنه، عشره، خمسين.. بس مش كل العلاقات بتفضل آدمية للأسف

.. مش هنختلف إن في علاقات فعلًا ماينفعش تكمل بسبب اختلاف الشخصيات وأنا مش جايه عشان أقول للناس ماتتجوزوش أو ماتطلقوش .. أنا جايه أوضح إننا مفتقدين فكرة التعامل مع الناس والمثال على ده إن الطلاق موجود عالميًا.. بس بره هما بيتعلموا ازاي يتعاملوا ف حياتهم.. لكن ف دولنا العربيه نادر لما بنلاقي حاجه زي دي..

من وجهة نظري إننا كلنا لازم نساهم ف توعية الناس بفكرة العلاقات كمجمل.. لازم نوعي الناس ازاي يتعاملوا مع بعض بطريقه تليق بينا كبشر.. يعرفوا إمتى يبدأوا العلاقة وإمتى تنتهي وليه .. مدارسنا بتهتم بالماده العلميه ومش بتهتم بالإنسانيات اللي من غيرها مش هنعرف نحصل الماده العليمه دي .. محتاجين نثقف القري .. القري اللي عايشين بين الزرع وبس.. تعمير الأرض مش إنتاج كائنات وبس لا .. كل واحد ليه دور ف تعمير الأرض.. سواء ف بلده أو مجتمعه أو أسرته أو شغله.. وبالذات الأسرة لإن الأسره مش أم وأب بس لا بالعكس كل فرد ف الأسره ليه دور قوي.. إحنا بنعمر الأرض بكل حاجه بنعملها مش لازم بالتكاثر وإنتاج كائنات بس..

لازم نعمل حساب كل خطوه بنعملها.

بما إننا ف الأول وف الآخر بنتكلم عن نفس الموضوع وهو العلاقات.. سواء كانت ف الأسره أو عامه.. فأنا بطالب إن يبقى في برامج توعيه بشكل دوري ف كل الدول العربيه.. يكون بيقدمها متخصصين في مجال علم النفس خاصه ونبدأ نفهّم كل واحد دوره ويعرفوا إزاي العلاقة تكمل وإمتى تنتهي وازاي نتعامل بعد ما تنتهي.

ف الآخر.. أتمنى إن الخلافات ف حياتنا كلها تقل وإن يبقى في أسر تربي جيل ناجح فعلًا.. جيل متزن مش مشتت بسبب الخلافات والمشاكل.

وأكيد مش بإيدنا نتحكم ف نسبة الطلاق باعتبار إني حطيته كمثال لإنها مالهاش سبب رئيسي.. لكن نقدر نتحكم في عواقبه من خلال البرامج دي برضو خصوصًا إن في أطفال أهلها ماعندهمش القدره على توعيتهم كفايه.. فالأفضل إنهم يتواجدوا ف أماكن متفهماهم ومش محسساهم إنهم فيهم حاجه ناقصه عننا وهما دول اللي هيكملوا بعدينا.. فاحنا محتاجين نأهلهم إنهم يعيشوا صح.

أنا كده قولت رأيي باختصار شديد وأتمنى أكون وصلت رسالتي.

بمجرد انتهائها وجدته يقف وهو مبتسم، وبدأ في التصفيق بحماس، ليقف الجميع ويؤيده، كادت تبكي من فرحتها. لكنها تماسكت حتى نزلت من المسرح واتجهت لطاولة سالم ومديرها بعد أن انتهى الجميع من تحيتها. صافحت مديرها وبدأ في شكرها.

- هايله يا سميحه مع إني معترض على كام نقطه كده.. بس شغلك باين جدًّا ف اللي قولتيه.. وأكيد مش هتقفي عند النقطه دى وهتطوري كتير وهتبقي ف مكان أحسن.
- ده شيء يشرفني جدًّا يافندم.
- أنا هستأذن عشان في ناس عايزني ف شغل.
- إتفضل.
- أشوفك ف الشركه ف مصر إن شاء الله.

- إن شاء الله.

غادر المدير، وجلست مع سالم حتى انتهى المؤتمر، وأسعدتها كلماته، فلأول مرة تشعر أن هناك أحدًا يفخر بها وبمجهوداتها وآرائها.

عادا إلى السكن، وعليهما البدء في تجهيز أغراضهما للعودة إلى مصر. هي أنهيت المؤتمر، وهو أثبت نفسه في عمله، وتمكن من الحصول على وظيفة في فرع الشركة التي عمل بها هذه المدة في مصر، وقد جمع مبلغًا معقولًا وهو ما أتى لأجله .. وكل شيء سينتهي.

***

واستقرت الحياة بين نور ومحمد بعد فترة من زواجهما.. بدأت نور تطمئن من فكرة إعلان ذلك الأمر، لم تعد ترفضه كما من قبل.. مرت شهور على حياة هادئة في بيتهما، كانا يحاولان ألا يقعا في أخطاء وقع فيها الكثير من حولهما. يقتلان أي لحظة تفسد عليهما تلك السعادة، ربما لا يسمحان لها من الأساس بأن تأتي تلك اللحظة. دائمًا يتعاهدان ....(هنعيش مبسوطين .. مبسوطين وبس).

اعتادت مريم على زيارة نور في بيتها حتى لا يفتقدا جلساتهما القديمة.

وفي واحدة منها :

- طب وخالتو رأيها إيه؟

- لسه ماحكيتلهاش.

- إنتي حاسه إنك مبسوطه من ناحية الفكره أصلًا؟

- شريف شخصيته حلوه ومحترم.. وبيحاول يفرحني على قد ما يقدر.. ومافيش حاجه تخليني أرفضه.

- ربنا يتملكوا على خير لو فيكوا خير لبعض.

- يا رب يا نور يا رب.

- هتعرَّفي خالتو إمتى ؟

- هعرفها اليومين دول.. عشان هو عايز يجي يتقدم في أقرب وقت.. على الأقل نقرا فاتحه وأنا عايزه أخلص دراسه الأول ولسه فاضل ٣ سنين ودي فتره كفايه للخطوبه عشان نعرف بعض.

- خير إن شاء الله .... بس إوعي تعملي الخطوبه غير لما اولد.. أنا عايزه أرقصلك حضرتك.

- ماهو انتي ماينفعش ترقصي ببالونتك دي بصراحه.

- ماتقوليش على ابني بالونه.. بكرا يجي ويطلع عينك.

- لسه ماعرفتيش ولد ولّا بنت؟

- لأ.. الدكتوره دي مش بتقول وانا ومحمد مش فارقه معانا أصلًا.

- كل اللي يجيبه ربنا كويس ..... يلّا أنا همشي بقى قبل ما محمد يجي.

- يابنتي خليكي اتغدي معانا.

- لا هروح عشان سايبه ماما لوحدها من الصبح ..
- خلاص تمام .. سلميلي على خالتو.
- حاضر عنيا.. وانتي خلي بالك من البالونه بتاعتك.
- يلّا يا رخمه.

أخبار مريم جعلت نور ترتاح قليلًا، كانت دائمًا تشعر أن مريم ضُرتها، رغم أن محمد لم يفكر فيها للحظة، فهي كانت دائمًا تخشى أن يكون شعور مريم تجاه محمد كما كان .. لكن ما سمعته اليوم يجعلها تصرف نظرًا عن هذا. روت نور لمحمد ما روته مريم لها، وكان سعيدًا بشأن ذلك، فمريم كانت من ضمن القائمة المشكوك بها .

عاد محمد من عمله.. يبدو على وجهه الغضب، ولم تعتد نور منه على ذلك!

- مالك يا محمد في إيه؟
- مافيش عادي ماتشغليش بالك.
- عادي ازاي! إنت مش شايف شكلك ولّا إيه؟!
- أنا عايز أسيب الشغل.
- ليه؟

- دكتور سعيد صاحب الصيدليه كلمني النهارده وقالي إنه هيحتاج يمشي واحد مننا.. أنا أو حسن الفتره الجايه عشان الأرباح مش مكفيه مرتباتنا.. وحسن هو اللي كان جايبلي الشغل ماينفعش بعد كل ده أخليه هو اللي يسيب الشغل وأنا أفضل فيه.
- طب وهنعمل إيه؟
- أنا كلمت الراجل بتاع إسكندريه اللي حاكتلك عليه قبل كده وقالي إن الشغل لسه موجود وهيبقى في سكن لينا هناك ولو استقرينا نبقى نشتري الشقه اللي احنا عايزنها هناك... هو قالي إنه نازل القاهره بكرا وهيفهمني التفاصيل.
- طب وماما.. هنعمل فيها إيه؟
- لو عايزه تيجي تعيش معانا خليها تيجي يا نور.. المهم نمشي من هنا.. أنا زهقت من المشاكل وعايز نرتاح شويه وكمان انتي كام شهر وهتولدي والمصاريف هتزيد وأنا مش هلاقي شغل بسهوله.. أنا عارف.
- ربنا كريم .. وديني عند ماما بكرا وانت رايح تقابل الراجل ده عشان أتكلم معاها وأشوف هتقولي إيه!
- ماشي يلّا ننام عشان واضح إن اليوم بكرا هيبقى طويل.
- يا ماما طب إنتي مش موافقه ليه؟
- عايزه تسيبيني هنا لوحدي يا نور؟ أنا أصلًا وافقت على جوازكوا لما قولتوا إنكوا هتعيشوا ف الشقه دي وهتبقى قريبه مني.. جايه دلوقتي بتقولي تسافري؟

- طب سافري معانا يا ماما.. هتقعدي هنا تعملي إيه؟
- لا.. أنا ماصدقت بقيت قريبه من أختي ومش هفضل أتنقل كل شوية ف محافظه..
- طب إيه الحل دلوقتي؟
- ماعرفش.. بس اعملي حسابك لو سافرتي وسيبتيني لا هيبقي ليكي أم ولا هعرفك.
- يا ماما ليه العصبيه وليه الأسلوب ده؟
- أنا قولت اللي عندي يا نور ... إحمدي ربنا إن لما أبوكي جه ماعملش مشكله ومابوظش الجوازه..
- هو انتي اللي كلمتيه يا ماما؟
- فارقه معاكي أوي يعني؟ ... واضح إن جوزك واكل مخك وهيخليكي تعملي اللي هو عايزه.
- محمد بيحاول بكل الطرق يرضيكي وإنتي مافيش فايده فيكي.. واللي بتعمليه ده هيخليني أعند وأسافر معاه..
- براحتك.. بس ماترجعيش تعيطي.

قاطع تلك المناقشة الحادة صوت رنين هاتف نور لتفهم أنه منتظرها.

- إنتي خيرتيني بينه وبينك وأنا هختاره هو يا ماما .... خدي بالك من نفسك.

.....

- ها.. عملتي إيه؟
- هنسافر إمتى؟
- بجد؟ ... يعني وافقت؟
- آه طلعت عيني ف الأول بس وافقت.
- هتيجي معانا؟
- لأ.. هتقعد هنا عشان تبقى قريبه من خالتو .. إنت عملت إيه مع الراجل؟
- قالي إنه مجهز كل حاجه وهيقعد هنا يومين كده لحد ما نجهز نفسنا للسفر... ماتخافيش يا نور إحنا هنيجي نزورها على طول.

ابتسمت نور لأن جملته أيدت ما أخبرت أمها به.

- ربنا يخليك ليا.
- ويخليكي ليا.

بدأت نور في إعداد الحقائب وأغراض السفر على الفور .. تريد أن تهرب قبل انفجار مناقشة جديدة بينها وبين ماجده .. زارت مريم وخالتها لتخبرهما بالقرار الجديد، وطلبت منهما إذا استقر حالهما هناك بأن يزوراها حتى لا تشعر بالوحدة، وطلبت منهما الاهتمام بماجدة.

.....

- ماما.. أنا عايزه اتكلم معاكي شويه.
- قولي يا مريم عايزه إيه؟
- أنا جايلي عريس..
- إيه؟!
- جايلي عريس من الكورس اللي بحضره وعايز يجي يتقدم قريب..
- إنتي متأكده من قرارك؟
- هو إنسان كويس وأنا مش عايزه أعقد نفسي.. فهنعمل خطوبه نتعرف على بعض أكتر.
- طيب.. خليه يجي الخميس الجاي.
- بجد يا ماما؟
- آه بجد.. وكلمي اعمامك يبقوا موجودين.

قبَّلت مريم أمها فرحة، ودخلت غرفتها لتخبر شريف بتلك الأخبار السارة.

- بجد يا محمد مش عارف أشكرك ازاي.. الموقف ده مش هنساهولك أبدًا.
- يابني ماتقولش كده إحنا اخوات يا حسن.
- وأكتر والله... المهم إنت مبسوط هناك؟

- آه.. أنا ونور مبسوطين جدًّا هنا الحمد لله وإن شاء الله أول ماتولد هشوف شقه قريبه من الشغل نستقر فيها.
- ربنا يقومها بالسلامه... لسه أبوها بيرخم عليكوا؟
- لا.. إحنا من ساعة الفرح مانعرفش حاجه عنه تقريبًا.
- أحسن برضو ... بقولك إيه يا محمد.. معلش خمسه وهكلمك أخلص اللي ف إيدي ده وهتصل بيك على طول.
- قشطه يا معلم مع السلامه.

دخلت نور غرفة المكتب التي اعتاد محمد أن يجلس بها بعد انتهائه من عمله؛ لتجده يضع قبضة يده على الأخرى، ففهمت أنه يفكر في شيء ما، فهو يأخذ ذلك الوضع حين ينهمك في التفكير.

- مالك يا محمد؟
- في حاجه غريبه جدًّا!
- إيه هي؟
- حسن سألني على باباكي ولسه عاملنا مشاكل ولّا لأ!
- فين المشكله؟
- إني ماحكتش لحسن على حاجه أصلًا ... معقول يكون هو اللي قال لابوكي يجي يبوظ الجوازه عشان أسيب الشغل وأسافر؟!

- لا ماظنش حسن يعمل كده وبعدين مش بتقول انكوا صحاب من زمان.. أكيد مش هيعمل كده.
- أتمنى مايكونش هو.. وأنا مش عايز أفكر فيه كده.. بس ده اللي جه ف دماغي.
- ماتشغلش بالك بالموضوع ده.... أنا كلمت سلمى الصبح وقالتلي إنهم مرتاحين أوي ف البلد وإن مامتك وباباك مبسوطين أوي.
- الحمد لله طمنتيني.
- عارف يامحمد؟.. أنا طول عمري كان نفسي يبقى عندي عيله زيكوا كده نبقى كلنا مرتبطين ببعض وبنسند بعض.
- ماحدش عارف الخير فين يا نور وبعدين هنعوضها ف عيلتنا احنا ... ربنا يقومك بالسلامه وتولدي الشهر ده وهنربي عيالنا على التماسك ده.
- يا رب يا محمد.... تعبانه أوي ومش قادره على شغل البيت لوحدي ومش عارفه أعمل إيه!
- ريحي وسيبك من شغل البيت وأنا هعمل كل حاجه.
- كفايه عليك شغلك.

الفصل السابع

(الاستسلام الوحيد المقبول هو الاستسلام للقدر).

تعلم أن صداقتهما ستستمر، لكنها تعودت عليه، وأصبحت تثق به كثيرًا.. اعتادت وجوده في حياتها .. اتفقا أن أول شيء سيفعلانه بعد العودة هو الإنفصال، حتى يعودان لحياتهما الطبيعية.

انتهت إجراءات السفر وتجهيزاته، وتحركا للمطار، وكان يرافقهما زميلها الذي التقيا به في بداية الرحلة، وقد سبقهما مديرهما بيوم، و كان يستقبلهما في المطار تقديرًا منه لأدائهما.

في المطار :

- هوصلك الأول وبعدين هشوف هسافر البلد ازاي..
- طب ليه تتعب نفسك؟ ماتقلقش أنا هتعامل وهروح وانت كمان روح ارتاح شويه.
- لأ.. هتطمن لما أوصلك أكتر.
- إحنا على اتفاقنا صح؟
- آه طبعًا.

كانت تسأله، وتتمنى بداخلها أن يجيبها بالنفي، لكنه اتفاق وعليهما تنفيذه، وبينما هما يستلمان حقائبهما، وجدا مديرها بجوارهما وساطةً، وكانت معه نجلاء جاءت لتستقبل سميحة أيضًا، ووجدتها سميحة تخبرها بشيء لم تستوعبه!

- في حد مستنيكي هنا من بدري..

- حد مين؟!

- هتعرفي لما نوصل على الباب وأظن إنها حاجه هتفرحك..

- أتمنى..

خرجا ليضعا أغراضهما في السيارة التي ستتولى أمرهم.

- أهو واقف هناك اهو..

تلتفت لترى من تقصد؟ لتجده هو .. من خان و فر! لماذا أتى إلى هنا؟! وكيف سمح لنفسه أن يفعل هذا؟!

- إيه اللي جابه هنا ده؟

- أنا فاكراكي هتفرحي!

قبل أن تجيبها، كان قد اقترب بكثير، وسالم بجوارهما لا يفهم ما يحدث! لكنه لاحظ أن عبوس وجه سميحة كان بسبب وجود هذا الشخص. بصرف النظر عمن هو!

اقترب رامز منهم وبدأ حديثه:

- حمد لله على السلامه نورتي مصر.

أجابته في برود:

- شكرًا الله يسلمك.

أمسك بيد سميحة بتلقائية، وكان يجذبها تجاهه لتسير معه.

- يلّا أنا هوصلك عشان عايز أتكلم معاكي.

حاولت أن تفلت يدها من يده.

- حاسب إيدك.. إيه الجنان اللي انت بتعمله ده؟!

سالم انفعل مما يراه فتدخل:

- إنت مجنون؟! إنت ازاي تمسك إيدها كده؟!

بالطبع رامز ليس لديه أي معلومات عن أي شيء حدث في الشهور السابقة!

- وانت مالك؟ إيه دخلك؟

- اللي انت شديتها من إيدها دي مراتي.

لم يقصد سالم أن يفتعل مشكله، لكنه كان واثقًا من أنها لا تريد الذهاب مع هذا الشخص .. ورامز لم يستوعب كلمة سالم؛ مما جعله ينفعل زيادة!

- إنت هتستعبط؟

لم يكد ينتهي رامز من كلماته حتى وجدت سالم يلكمه بضربة على وجهه جعلته يقع أرضًا.. حاولت تهدئته، لكنهما ظلا في تلك المصارعة حتى تدخل الأمن، وأصروا على أن يؤخذ سالم ورامز إلى القسم، وحاول مديرها أن يمنع ذلك، لكن ما فعلاه من شغب لم يكن في صفهما أبدًا.

ذهبوا معهما إلى القسم، وأصر الضابط الذي حقق معهما أن يبيتا في القسم؛ باعتبارهما أثارا الشغب في المطار ونشرا الفزع فيه، وكان هناك وفد قادم من أمريكا، فزاد ذلك الأمر سوءًا.

خوفها على سالم سيطر عليها، فهو كان يساعدها فقط، وعليها أن تخرجه من تلك الورطة، فاتصلت بعمها المحامي ليأتي ويحل الأمر، وأتى على الفور، وشرحت له الموقف، لكن أسئلته كانت كثيرة:

- ماتصلتيش بيا آجي أخدك ليه؟
- ماكنتش عامله حسابي إن كل ده هيحصل.
- طب وهو مين سالم ده؟ وضربه ليه أصلًا؟

ماذا عليها أن تفعل الآن؟!.. تخبره بالحقيقة أم ماذا؟!.. على كل حال، ستنتهي علاقتها بسالم خلال أيام، فلا داعي للكذب، تريد أن تخرجه من تلك الورطة فقط.

- جوزي..
- نعم؟!

لم يتوقع أن تكون تلك هي إجابتها، لكن بعد ما شرحت له ما حدث كله تفهم الوضع جدًّا، وطلب منها أن تمنحه قسيمة الزواج؛ لأن هذا سيجعل سالم في موقف الدفاع

وستنتهي قضيته بسرعة. أجاد عمها التصرف، وخرج سالم معهم، وظل رامز على ذمة التحقيق.
اعتقد سالم أنها غاضبة مما فعله وحاول الاعتذار.

- أنا آسف والله.. بس أنا اتعصبت لإنه ضايقك.
- آسف على أيه؟ أنا مش عارفه من غيرك كنت هتصرف إزاي!
- يعني إنتي مش زعلانه مني؟
- لا بالعكس.. أنا المفروض أشكرك.

نجلاء ظلت صامتة منذ أن تحركوا من المطار، لكنها وجدت أن ما فعلته لا يغتفر، فحاولت أن تُصلح الأمر:

- أنا آسفه يا سميحه انا ماكنتش عارفه إن كل ده هيحصل.. والله هو فهمني إنه عايز يرجعلك و..

لم تمنحها الفرصة لتكمل ما بدأته.

- حصل خير يا نجلاء.. بس ياريت الموقف مايتكررش.
- أكيد مش هيتكرر.. أنا آسفه للمره التانيه.
- خلاص روحي انتي عشان متتأخريش.
- هوصلك.
- لأ. متشكره.

بداخلها شعور أنها ستفقد أعصابها فجأة وستنقض عليها لتخنقها، فحاولت أن تترك مسافة بينهما..

- طيب أنا هستأذن يا سميحه واشوفك ف الشركه.

- إن شاء الله.

- مع السلامه.

غادرت نجلاء، وبدأت سميحة تهدأ وتستعيد توازنها ثانية، وعمها ما زال معهم، لكنه قدم عرضًا لا تظنه طبيعيًّا!

- ماتيجي معانا يا سالم.

نظر لها سالم في تعجب وعدم فهم! أهذا فخ أم طيب نية؟!

- الوقت اتاخر وأنا لازم أرجع البلد.

- عشان نكون متفقين.. أنا ف كل الأحوال هعرَّف والد سميحه بموضوع جوازكوا.. ف الأفضل إنك تكون موجود.. وإحنا كده كده راجعين البلد برضو عشان سميحه تسلم على أهلها لإنهم مستنينها.

- إزاي ياعمي؟! انا وسالم متفقين إننا هنطلق ومافيش داعي حد يعرف وخصوصا بابا وأنا عايزه اروح على السكن وهبقى اسافرلهم كمان يومين.

- أنا آسف يا سميحه.. أنا واجب عليا إني أقوله.. وبما إنكوا متفقين خايفين ليه؟ وهما عارفين إنك رجعتي ماينفعش ماتسلميش عليهم.

قبل أن يرد، أشار لها سالم ألا تتحدث ورد هو:

- مافيش مشكله.. دي حاجه تشرفني إني أزور أهل سميحه..

ربت العم على كتف سالم، وركبا معه سيارته واتجها لبلدتهم، وطوال الطريق تضع يدها على قلبها، وتدور في رأسها كل الاحتمالات.. تُرى كيف سيكون رد فعل والدها؟! أيمكن أن تبقى على قيد الحياة؟! .....

فعلًا .. محمد كان يقوم بكل أعمال المنزل تقريبًا لتجد نور الراحة الكافية .. يعلم أنها تبذل مجهودًا كبيرًا في المنزل طوال اليوم، وكان سعيدًا بمساعدتها .... دائمًا يخبرها أن ما يفعله واجب عليه وليس تطوعًا منه حتى لا يشعرها بتعبه، لكن موعد ولادتها يقترب، ويخشى أن يشتد عليها الألم أثناء عمله، فقرر أن يطلب من ماجدة المساعدة، وحتى يقتربا من بعض أكثر في الوقت ذاته.

- إزيك يا ماما؟
- أهلًا يا محمد.. خير في حاجه؟
- معلش يا طنط إني صحيتك بدري.. بس نور معاد ولادتها قرب وأنا لوحدي معاها.. فياريت حضرتك تيجي تبقي جنبها اليومين دول.

تعجبت ماجدة من كلام محمد! هذا يدل على أن نور لم تخبره بما حدث في المقابلة الأخيرة، لكن قلبها لان.. ابنتها في حاجة لها ويجب أن تكون بجوارها في أيام كتلك، تنتظر ولادة حفيدتها منذ ولادتها لنور، فعليها ألا تفوِّت هذه الفرصة.

- طبعًا هاجي يا محمد .... بعد بكرا هاجيلكوا بدري إن شاء الله.. بس استناني ف الموقف عشان أنا ماعرفش الطريق.
- عنيا حاضر .. ربنا يخليكي لينا يا ماما.
- تسلم يا محمد.
- مع السلامه.
- سلام.

سلمى ... انشغلت بالروايات والكتب، وكانت تشعر بسعادة شديدة لأنها تفعل كما يفعل محمد، لم تكن تفهم متعته بين تلك الكتب، لكنها الآن تفهم سر انهماكه في القراءة والكتابة.... جو القرية الصغيرة كان يشجعها على ذلك.. لم تمل، فهناك الحياة أسرية بشكل كبير، دائمًا يضحكون ويروون مواقفهم لبعض، وكانت تستمتع بذلك جدًّا ... كانت تحب جلسات الأقارب، وتشعر بينهم بالألفة، وكانت يومًا بعد يوم تتمسك بقرار بقائها مع والديها، فهي منذ سنوات لم ترهم بتلك السعادة..

محمد أراد أن يخبر نور بخبر مجيء والدتها، يعلم أنها تفتقدها وتتمنى وجودها في لحظات كتلك.

- ليه يا محمد قولتلها تيجي؟

- أنا كنت فاكرك هتفرحي.

توترت نور

- مانا فرحانه طبعًا.. بس.. بس ماكنتش عايزه أتعبها.

- يعني هي لو ماتعبتش عشانك هتتعب عشان مين؟!

- عندك حق ... عندك حق.

- أنا هروح آخدها من الموقف بكرا.

- ماشي.. أنا هقوم أجهزلها الأوضه اللي هتقعد فيها.

- خليكي انتي.. أنا هقوم أجهزها.

وصلت ماجدة إلى الإسكندرية، وكان محمد في انتظارها في الموقف على حسب اتفاقهما، وحين وصلت إلى الشقة التي أقاما فيها تلك المدة، تعاملت مع نور كأن لم يحدث بينهما خلاف.. نور لم ترغب أبدًا بأن يعلم محمد برأي والدتها فيه حتى لا يحمل أحد منهما كرهًا للآخر، تريد أن تتحسن العلاقة بينهما، وبعد أسبوع من وصول ماجدة، جاء خبر سعيد من مريم .. خطبتها بعد ثلاثة أيام، وطلبت منهما أن يأتيا القاهره باكرًا ليلة حتى تكون نور بجوارها طوال يوم الخطبة، لكن ماذا عن ولادة نور؟ اقترح محمد أن يبقيا في القاهرة حتى تتم ولادة نور ويتم السبوع، حتى يكونا قريبين من الجميع ويسهل على والديه الحضور، وأخبرها أنهما ستسبقانه إلى القاهرة

حتى يُتم أوراق الإجازة، وسيصل في يوم الخطبة باكرًا ومعه الأغراض كلها، ووافقته نور على ذلك .
أوصلهما إلى الموقف، واطمأن على ركوبهما الأتوبيس، وأمر نور بأن تتصل به أكثر من مرة حتى يطمئن عليهما حتى يصلا إلى القاهرة.. إلى حيث طلبت مريم من شريف أن ينتظرهما.

- يا مريم أنا بقالي ٣ ساعات واقف ولسه ماوصلوش.
- معلش يا شريف إستني شويه كمان.
- طب إتصلي بيهم شوفيهم فين؟
- إتصلت كتير.. الأرقام مقفوله وخايفه أتصل بمحمد أقلقه ... إستني ده هو بيتصل.

على الخط الآخر :

- مريم.. أنا بتصل بنور وماما وتليفونهم مقفول.
- وأنا برضو باتصل ومافيش فايده وخفت أكلمك تقلق عليهم.
- أنا قلقان من بدري.. بقالي ساعتين بتصل ومش عارف أوصلهم خالص.
- ماتقلقش إن شاء الله خير .. شريف مستنيهم عند الموقف ومش هيمشي غير بيهم.
- ربنا يستر .. لو وصلتوا لحاجه قبلي عرفوني.
- طبعًا.. ماتخافش.

- أيوه يا شريف..
- ها وصلوا؟
- لأ.. محمد كمان مش عارف يوصلهم.
- أنا بدأت أقلق.
- وأنا والله خايفه عليهم جدًّا.

ليأتي صوت مايسة: ها يا مريم.. في أخبار؟

- لأ يا ماما.
- ربنا يسترها يابنتي.
- يا رب يا ماما.
- خليك مستني شويه يا شريف وخلي التليفون ف إيدك ولما يوصلوا طمني.
- حاضر سلام.

.....

بعد ساعات :

- أيوه مين معايا؟
- حضرتك اللي متصل..
- ده رقم مراتي.
- أخيرًا عرفنا نوصل لحد .... العربيه اللي كانوا راكبينها إتقلبت على الطريق السريع والإسعاف جت خدتهم للمستشفي اللي على الطريق وخدنا تليفوناتهم عشان

نوصل لأهلهم.. بس التليفون ده كان مقفول فخطينا الشريحة ف تليفون تاني عشان نعرف نوصل لأي حد.

لم يسمع محمد من كل هذا إلا أن السيارة قد انقلبت علي الطريق. ظل يركض حتى وجد سيارة أجرة (تاكسي) كان يشعر أن السيارة لا تتحرك، رغم أن السائق يتحرك بأقصى سرعة ممكنة بعدما شعر بلهفته. ظل محمد طوال الطريق يتخيل زوجته وهي ملقاة على الطريق، وظل يفكر في ابنه أو ابنته. هل هما على قيد الحياة أم لا؟!
وهما على الطريق، وجدا مستشفى كبيرة، فأخبره السائق أن تلك هي المستشفى التي يبحث عنها..
فيترك له كل نقوده ويركض إلى البوابات ليجد الحركة بداخل المستشفى سريعة.. نقالات تتحرك يمينًا ويسارًا.. الممرضات يركضن ... هناك جثث مغطاة .. يبحث عن وجه نور في كل هذا. حتى استوقفته ممرضة:

- حضرتك بتدور على حد؟

رد وصوته يرتعش: أأأ. أنا حد كلمني وقالي إن ..إن ..في عربية إتقلبت على الطريق وأنا مراتي ووالدتها كانوا فيها..

الفصل الثامن
(إلى متى!)

وصلوا منزل أهل سميحة، وكان الترحيب من الجميع، خاصة من أمها. رحبوا بسالم، رغم أنهم لأول مرة يرونه فيها، إلا أنه يُحب من أول نظرة، وكرم الضيافة جعلهم ينسون أن يسألوا عن هويته.

طلب العم من والد سميحة أن يجلسا بغرفة بمفردهما، وكان عليها أن تنفرد بأمها لتشرح لها ما حدث كله، وبقي سالم مع البقية .

كانت تروي لأمها ما حدث، وهي تتخيل رد فعل والدها حين يسمع ما انفرد به العم معه من أجله.. لكن نظرات أمها جعلتها تتوقع الأسوأ! فلو لم تكن تحمل فطرة الأمومة لكانت دفنتها تحت التراب الآن..

قاطعهما دخول والد سميحة ليقول في حسم:

- دقيقه وتكونوا موجودين معانا بره.

أجابته أمها وهي ترتعش، فهي تعلم أنه لن يتهاون أبدًا.

- حاضر خارجين حالًا اهو..

خرج والدها وأغلق الباب بقوة جعلتها تتردد في الخروج، لكن ما قاله كان أمرًا، وليس لديها أي خيار.

لبيا هي وأمها ما طلبه ، ليجدوهم ملتفين حول طاولة امتلأت بالفاكهة وأكواب الشاي، فهو حتى هذه اللحظة ضيف في بيتهم، وعليهم إكرامه، ووجدت أختها تنظر لها نظرات لم تفهمها!

و أخيرًا جاء قرار القاضي في هذا الأمر .....

- طبعًا إنتي عارفه أنا ممكن اعمل فيكي إيه بعد اللي عرفته!

نظرت أرضًا في خجل، فهي تعلم جيدًا عقوبة ما ارتكبته، فهي عاندت العادات والتقاليد وكل شيء حتى تحقق حلمها. حاول سالم أن يعرض عليه حلولًا، لكه لم يسمح له بذلك.

- إنتوا عملتوا كده بإرادتكوا من غير ما تاخدوا رأي حد ونفذتوا اللي ف دماغكوا.. فعقابكوا إنكوا تكملوا غصب عنكوا.

فهمت ما يقصده ، لكن سالم لم يفهمه بعد، فنظر له ثم سأله:

- يعني إيه؟!

- يعني هتكملوا ومش هتطلقوا.. أنا ماعنديش استعداد الناس تاكل وشي بسبب عملتكوا دي..

- ازاي!

- ده اللي عندي .. في حل تاني:

- هو إيه؟

- تدفع ١٠٠ ألف جنيه وتطلقها.

متأكدة أنه وضع ذلك الحل لأنه يعلم أن سالم لا يملك ذلك المبلغ، فلن يكون لديه خيار سوى الموافقة فلم ينتظر إجابة سالم حتى

- روح يابني عرّف أهلك إن فرحك الأسبوع الجاي والفرح هيتعمل وكل أهل البلد هيحضروا..

نظر لها سالم وكأنه يطلب منها أن تظهر أي رد فعل، لكن والدها أعلن قراره وحسم الأمر، ولكي ينهي الموقف، وقف ومد يده لسالم:

- نورتنا.

****

- أنا آسفه.. بس كل اللي كانوا ف الحادثه إتوفوا .. البقاء لله.

لم يشعر محمد بنفسه وقد أمسك بها وكاد يخنقها:

- لا لا.. أنا مراتي لسه عايشه إنتي كدابه .. نور لسه عايشه .. وإبني عايش .. إنتي كدابه

إلى أن أتى الأمن وانتشلوها من يده بصعوبة.

سائق التاكسي ظل منتظرًا بالخارج ليعطيه باقي أمواله، فقد منحه أكثر من حقه بكثير .. ليجده بين يدي الأمن يحاول أن يفلت منهم ولا ينطق سوى باسم نور..
أخذه السائق من بين أيديهم ليذهب به من حيث أتى معه. حاول أن يسأله عن عنوانه بعد أن فهم أن زوجته وحماته قد توفيتا في تلك الحادثة.. لا ينطق إلا بكلمات متناثرة غير مفهومة.. هو حي بجسده فقط.. حتى جسده أصبح

صلبًا لا يتحرك! .. رن هاتف محمد، لكنه ظل ساكنًا لم يتحرك، فأخذ السائق الهاتف منه:

- أيوه..
- أيوه يا محمد وصلت لأيه؟
- أنا مش محمد.. أنا السواق اللي بيوصله.
- طب محمد فين؟
- أنا كنت جايبه من إسكندريه للمستشفى اللي على الطريق السريع ودخل وفضلت مستنيه وخارج حالته صعبه.. عرف إن مراته وأمها ماتوا وأنا مش عارف أوديه فين!
- إيه! .... نور ...

حاولت مريم أن تتماسك حتى تخبره بعنوان بيتهما وأغلقت الهاتف.

كانت مايسة قد سمعت وفهمت ما حدث.

- أختي .. أختي عايشه؟

حركت مريم رأسها نافية، وفجأة جاء صراخ مايسة ... انهارت مريم بجوارها... كيف حدث هذا؟! .. أهذا يعني أنها لن ترى نور ثانية؟! .. أهذا حلم؟! لكن متى تفيق منه؟! لو تزوجته لكانت هي من نامت تحت التراب الآن.

بعد شهر:

لم تتم خطبة مريم وشريف بالطبع، لن تفرح بدون نور، لا يمكن. محمد بقي كالمسجون في شقته التي عاش فيها مع نور أسعد أيام حياته، يتخيلها معه في كل مكان، يظل يتحدث مع نفسه طوال الليل كأنها بجواره تسمعه، لا يستوعب أنها لن تكون في حياته! كيف بعد كل هذا العناء تتركه في منتصف الطريق؟! كيف تأخذ ابنهما دون أن يراه حتى؟! ... كيف تخلف وعدها؟!

عاد والداه وأخته ليكونوا بجواره، لكنه أراد أن يكون بمفرده، لا يريد أحدًا، فحياته قد غادرت، لن يعوض أحد وجودها، أمه لا تتحمل أن تراه هكذا، فذهبت إليه في يوم وظلت تدعو الله أن يقبل مقابلتها.. يذهبون إليه كل يوم ولا يفتح لهم الباب، لكنهم كانوا يكتفون بالاطمئنان عليه بأنه لم يؤذِ نفسه على الأقل.. طرقت الباب.. لكنه فتح هذه المرة.. عانقته لدقائق.. تريد أن تخفف عنه آلامه، لكن لا تعلم كيف!.. هي تعلم ألم الفراق جيدًا ...

- يابني ماينفعش تفضل كده هيجرالك حاجه.
- ياريت يا ماما يجرالي حاجه أنا عايز أروح لنور.
- بعد الشر عليك يا حبيبي .. عايز تسيبني وتمشي؟! عايزني أتعذب زي مانت متعذب.

- مش عارف أعيش من غيرها يا أمي والله مش قادر .. إحنا كنا مبسوطين سوا .. المشاكل إتحلت وكانت هتولد وإبننا كان هينور علينا حياتنا.
- ده قدر يابني ربنا عارف الخير فين.
- فين الخير ده؟!.. أنا تعبت يا أمي.
- أكيد ربنا شايلك الأحسن.
- مافيش أحسن من نور.
- لأ في.
- يعني إيه؟
- يعني تتجوز تاني يا محمد عشان تقدر تنساها.

نظر محمد لأمه نظرة عتاب لم ترها منه من قبل! ... لولا أنها أمه لكان صفعها ولربما قتلها!..

- .. لازم تتجوز واحده تملى حياتك عشان تقدر تعيش.. إنت لازم تكمل حياتك.. الدنيا مش هتقف.

إلى متى؟!

إلى متى ستظل الرياح تتصارع مع أوراق الشجر فيسقط البعض منها أرضًا والبعض الآخر يصمد؟! ولكن إلى متى ستصمد؟!

ماذا عن آخر ورقة؟!

هل ستتمسك بفرع الشجرة على أمل أن تبقى حتى تنمو الأوراق الجديدة؟! أم أنها ستلقي بنفسها أرضًا ليقينها بأن الرياح لن تقبل ببقائها وحيدة أو مع الجدد؟!

فالبقاء للأقوى.

تشمئز الرياح من ثبات الأشياء، فهي خُلقت لتُحرك جمودهم .

الفصل التاسع
(جمعنا الفراق)

غادر سالم دون أن ينظر لسميحة، حتى شعرت أن الصدمة جعلت دماءه تنصب في قدميه، وأنه سيفقد توازنه فجأة، لكنه إلى أن غادر، كان يبدو عليه التماسك إلى حد ما. لم يكن لديها أي حلول في تلك اللحظة. كيف حدثت كل هذه الأحداث؟!

حاولت أن تتفاهم مع والدها، لكنه كاد يوئدها بعدما فعلته، ولولا قربها منه وحبه لها لكانت الآن بجانب جدتها تحت التراب، اعتادت أن تقف الظروف ضدها، لذلك تقبلت ما حدث، أو بمعنى أدق، جُبِرت أن تتقبله، فهي المُخطئ الأول، همها كله كان سالم، ماذا فعل بها لتجعله يكمل حياته معها رغمًا عنه؟! فهذا لم يكن الاتفاق بينهما من البداية. لم تجد حلًّاً سوى تنفيذ ما قرره والدها، ومع الوقت يجدان حلًّاً سويا غير هذا، لكن كيف تخبر سالم بذلك، وكيف تجعله يطمئن؟ أتتصل به؟ لا تعلم رقم منزله.كانت تتمنى أن يظهر شخص يخترع هاتفًا نقالًا يُسهِّل عليهم كل هذه الصعاب ويُقصِر تلك المسافات؟! أمر واقع وعليهم تقبله ....

وصل سالم منزله ووجهه قد اصفر بعد أن هربت الدماء منه، وطوال طريقه يفكر في سيناريو يقنع به والدته بسرعة زواجه، فهو يعلم أنها على يقين بأنه ما زال

مشتتًا بعد خسارته حبيبة عمره فجأة .. يا أله! كيف يتحمل سالم كل هذا بمفرده ويكاد يكون لا يروي ما يحدث له لأحد أبدًا.

- السلام عليكم..

بمجرد تحية سالم ركض كل من في البيت إلى الباب، وكانت والدته في المقدمة، احتضنته كأنها لم تره منذ أعوام وأعوام، كاد يبكي وهو يضمها، لكنه إذا فعل فسيزداد الموقف سوءًا.

- نورت بيتك يا حبيبي .. ماقولتش ليه إنك راجع النهارده؟

- ماحبتش اشغلكوا وعشان تبقى مفاجأه.

- أحلى مفاجأه والله.

- ربنا يخليكي لينا ياست الكل.

جلست أخته الصغرى على فخذه حتى غرقت في نومها، فمنذ شهور تنتظر أن تطمئن بوجوده معها، فهي تعتبره أباها؛ كونها لا تتذكر وجه والدها حتى، فقد فارق الحياة قبل أن تقدر على النطق.

- هاتها يا سالم أدخلها تنام جوه.

- لا يا أمي.. أنا هدخلها خليكي انتي هنا عشان هاجي عايزك ف موضوع مهم.

تغيرت ملامح والدته فجأة، لكنها حاولت ألا تظهر هذا.

- طيب أقوم أولع على الشاي.

دخل سالم غرفة أخواته، ووضع أخته في فراشها واطمأن أنها ما زالت نائمة، لكنه جلس بجوارها لدقائق يفكر كيف سيقنع والدته بتلك التغيرات؟ لكنه على كل حال ليس لديه أي اختيارات.

عاد إلى حيث تنتظره والدته، وجلس على الأريكة ذاتها، وكانت عيناها تتساءل أكثر من لسانها، فبدأ حديثه حتى لا يزيد قلقها عليه.

- أمي أنا إتجوزت!

في منزل محمد :

- إشمعنا مريم يا ماما؟

- هي الوحيده اللي هتقبل إنها تبقى ضره.

كرر محمد كلمتها وتبدو عليه دهشته!

- ضُره؟!

- آه ضُره .. نور هتفضل عايشه جواك وهي الوحيدة اللي عارفه إنت كنت بتحبها إزاي فهتتحملك.

- إنتي سلمى قالتلك حاجه؟

- إنت فاكرني عبيطه! .. أنا فاهمه من الأول.. بس كنت عارفه إنك بتحب نور.

- طيب مانتي عارفه إني بحب نور.. عايزاني أتجوز مريم ليه؟ إشمعنا مريم؟

- العلاقه اللي مافيهاش معافره مابتكملش.. لكن اللي فيها على الأقل طرف واحد بيعافر ممكن تكمل.. أنا جربت قبلك .. إنك تتجوز واحده لا إنت بتحبها ولا هي

بتحبك مش هتعرفوا تعيشوا سوا يوم واحد.. لكن مريم بتحبك ولو اتجوزتوا أنا متأكده إنها هتحاول بكل الطرق إنكوا تبقوا مبسوطين وإنها تعوضك عن غياب نور الله يرحمها.

- الله يرحمها.
- ها قولت إيه؟
- هصلي صلاة استخاره وأرد عليكي.
- ربنا يقدملك اللي فيه الخير ويطمني عليك.

انتهت من جملتها وامتلأت عيناها بالدموع.

- بتعيطي ليه دلوقتي بس؟
- صعبان عليا اللي بيحصلك ده.. كان نفسي تعيش مبسوط .. كان نفسي بختك يبقى أحلى من بختي..
- مش إنتي دايمًا بتقوليلي ربنا مابيختارش لحد حاجه وحشه؟

ابتسمت وحركت رأسها بإيماءة أن نعم.

- يبقى ماتخافيش عليا وادعيلي بس .

بعد يومين ..

جلست مع أختها (مديحة)، فهي ما زالت غير مدركة، لكنها تحتاج للنصيحة مهما كانت بسيطة.

- أنا مش فاهمه يا سميحه إزاي عملتي كده؟!

- مش وقته يا مديحه.. دلوقتي أنا عايزه حل .. سالم مالوش ذنب.. أنا هتحمل غلطي.. بس هو ساعدني ووقف جنبي كتير ماينفعش بعد كل ده أدبسه كده.
- بصراحه هو صعبان عليا.. بس بابا مش هيقبل بأي حل تاني.
- ربنا يستر يا مديحه. والله أنا تعبت ومش عارفه أعمل إيه وعمي ماسابليش فرصه أتفاهم لا معاه ولا مع بابا.
- هو عرف إزاي أصلًا؟

روت لها ماحدث في المطار وعواقب ذلك، وكان حاجباها قد تعلقا لأعلى جبينها.. و ردت بسخرية :

- سميحه إنتي متأكده إن كل اللي بيحصل ده حقيقه مش تخاريف منك؟
- أنا غلطانه إني بحكيلك أصلًا..

وقفت لتخرج بعدما شعرت باستهزائها، لكنها أمكست بيدها وجذبتها لتجلس ثانية:

- بهزر خلاص أقعدي.
- بطلي رخامه.
- طيب طيب .. المهم رامز عمل إيه بعد كده؟
- عمي قالي إنه في واحد قريبه خرجه برشوه واللي عرفه إنه أول ما خرج من القسم خد مامته واخواته وسافر.
- سافر فين؟

- مش عارفه ومش عايزه أعرف .. قصة واتقفلت ومش عايزاها تتفتح تاني.. خلاص أنا فعلًا بقيت بكرهه.
- ربنا يهديه ويهديكي.
- يا رب.
- المهم أنا هقوم أحضر العشا.. وبعد ماناكل إعملي حسابك إنك هتحكيلي كل حاجه حصلت من أول ماعرفتي سالم.
- دي قصه طويله.
- ماليش دعوه أنا عايزه أعرف كل حاجه بالتفصيل.
- ماشي بس خلصي بسرعه.

***

في منزل مريم، حيث تجلس مايسة مع شريف ووجههما قد ظهر عليه الشفقة مما يحدث، كان شريف مصدومًا في قرار مريم!

- طيب أنا زعلتها ف حاجه أو عملت حاجه غلط ؟
- إنت عارف يا شريف إني بعتبرك زي إبني وبحبك إزاي وإنت عارف كل شيء قسمه ونصيب واللي ربنا عايزه بيحصل.
- ونعم بالله.. بس أنا من حقي أفهم.
- مالوش لزوم.

ومدت يدها له ومعها علبة صغيرة.

- الشبكه أهي وربنا يعوضك بواحده أحسن من مريم بنتي.
- واضح إن مافيش أمل وإني ماشي ف حيطه سد.
- ربنا يقدملك الخير يا شريف.
- طب هي مش هتطلع تسلم عليا حتى؟
- معلش.. كده أحسن وأنا آسفه بالنيابه عن بنتي.
- لأ مافيش أسف ولا حاجه أنا هستأذن.

وهب شريف ليذهب بعد أن سدت والدة مريم كل الأبواب بينه وبين بقاء مريم معه.

- إستنى أنت ماخدتش الشبكه.

نظر لها وهو يكتم كلمات داخله، لو باح بها لن يتوقف من قسوة ما يشعر به.

- دي هديه مني لمريم ماقدرش آخدها.

ما زالت مايسة معترضة على قرار مريم، لكنها لن تجبرها على أن تستمر مع شخص لا تريده، لكن هذا لا يمنع أنها تحب شريف وتحترمه كثيرًا.

- إنت طيب يا شريف وربنا هيكرمك إن شاء الله.
- إن شاء الله. بعد إذن حضرتك.
- مع السلامه يابني.

ذهب شريف ليكمل حياته بدون مريم، حتى أنه لم يفهم ما فعله لتتركه هكذا! لكنه لن يكمل حياته مع شخص لا يريده. لم يعتد أن يلوم القدر وهو ظالم نفسه.

دخلت مايسة لمريم لتخبرها بما حدث، وبمجرد دخولها، سألت مريم في لهفة:

- ها مشي؟
- آه مشي .. ربنا يسامحك يا مريم إنتي ماشوفتيش هو كان عامل إزاي!
- كده أحسن يا ماما عشان ماظلمهوش.
- يعني لو محمد ماكانش قالك إنه عايز يتجوزك كنتي هتسيبي شريف برضو؟
- مش عارفه يا ماما.. بس أنا بحب محمد أكتر ويمكن ربنا عمل كل ده عشان نبقى مع بعض ف الآخر.. مش ده كلامك؟
- بس ذنب شريف ف رقبتك.
- ربنا هيعوضه إن شاء الله.
- على فكره.. هو ساب الشبكه.
- ليه؟
- قالي دي هديه مني لمريم.
- أنا عارفه إنه محترم.. بس هو فعلًا يستحق واحده تحبه يعيش معاها.. أنا ماكنتش هسعده.
- ربنا يكرمه ويكرمك يا مريم يا بنتي ويهديكي من الجنان اللي انتي فيه ده..

- أنا هروح أكلم محمد واحكيله بقى.

***

روى سالم لوالدته ما حدث له منذ ظهور سميحة في حياته حتى اللحظة التي يجلس فيها معها وكلماته الآخيره جعلتها تطمئن.

- أنا فعلًا ف الأول وافقت عشان أقدر أتقدم لسميره.. بس بعد اللي هي عملته وبعد ما قربت لسميحه حبيت سميحه أكتر وماكنتش ببين لإننا كنا متفقين إننا مش هنكمل وماكنتش أقدر أتكلم لأني كنت عارف إنها بتحب واحد تاني .. بس وقولت أنا هسيبها بظروفها وأهي الظروف عايزانا نكمل.
- يعني إنت بتحبها بجد؟
- بحبها جدًّا.
- طيب أنا عايزه أشوفها.
- هنروح كلنا عشان أطلب إيدها من أبوها ونتكلم ف التفاصيل.
- بالسرعه دي؟ مش لما اشوفها الأول.
- أنا متأكد إنك هتحبيها زي مانا حبيتها.
- خلاص يا بني ربنا ييسرلك الأمور.

الفصل العاشر
(ذكرى)

يومًا ما ستتعاطف معك الحياة وتهديك شخصًا عوضًا عن أفعالها معك، سيكون لك حياة أخرى، سيكون جزءًا منك إن لم يكن أنت بأكملك، لكن متجسد في نسخة بشرية أخرى، بعيدًا عنك كان أم قريبًا، فعقلك خزن صورته ليكون لك ذكرى حزينة تارة، وذكرى سعيدة تارة أخرى، أحيانًا تحن الحياة للقسوة فتسلب منك من أحببت بدون مقدمات .. ربما كانت هناك مقدمات لكن تجاهلتها .. فكيف تظلم الحياة؟! فأنت أخفيت عن عينيك ما كان واضحًا.. أكمل مسيرتك في الحياة، فيمكنها أن ترسل لك آخر يكون عوضًا عن الراحل الذي أهدته لك مسبقًا بخدعة لم تكتشفها إلا بعد الفراق.

تسمع مريم صوت الباب فتركض لتفتحه وتجد مايسة أمامها، تلتقط أنفاسها بصعوبة من أثر صعود السلم:

- أهلًا وسهلًا يا ماما.. نورتي ادخلي ريحي من السلم.

تدخل مايسة وترتاح على أول مقعد حتى تأتي لها مريم بماء ترويها لتهدأ بعد ما بذلته من مجهود، فقد كبرت بما يكفي ليجعلها تتنهد من أقل حركة.

- إيه يا مريم.. مش هتفهميني جوزك عايزني ليه؟

- مش عارفه والله يا ماما.. هو اتصل بيا وقالي اقولك تيجي عشان عايزنا ف حاجه مهمه.

- إنتي مبسوطة يا مريم؟
- مبسوطه يا ماما .. أنا عارفه إني هفضل ضره مهما حصل.. ومهما حاولت أسعده وهريحه هفضل التانيه.. محاولاتي كلها فشلت إني أخليه ينساها.. أنا أحيانًا بحسها موجوده معانا هنا ف البيت .. خصوصًا بعد ماسمى بنتنا إسمها.. حسيت إنه بيعاقبني عشان إنتي اللي كلمتي باباها من ورانا كلنا.. عايز يقولي إنها هتفضل ف حياتنا مهما حاولنا إننا نبعدها .. بس مش هنكر إنه أحن راجل ف الدنيا برضو وإني بحبه ياماما.
- أنا عارفه إني غلطت لما عملت كده.. بس أنا كنت شايفاكي تعبانه أودامي .. قلبي ماقدرش يطاوعني .. حاولت أخليكي مبسوطه.
- ماتخافيش عليا يا ماما.. أنا مبسوطه الحمد لله.. ربنا يخليلي نورهان بنتي.. هي اللي معوضاني عن كل حاجه..
- ربنا يباركلك فيها يابنتي.

رن الباب ثانية، فركضت نورهان ذات العشر سنوات لتفتح:

- هييه بابا جه.

ليدخل ويقبل جبينها ثم يلقي التحية على مريم ومايسة.

- حمد لله ع السلامه يا حبيبي..
- الله يسلمك.

ظلت نورهان واقفة أمام الباب وعيناها لا تلتفت عنه، فتعجبت مريم أنها تركت الباب مفتوحًا بعد دخوله فأمرتها:

- إقفلي الباب يا نورهان.

رد هو بسرعة:

- لأ ماتقفليش أنا معايا ضيفه..

فنظرت مريم لمايسة لتجدها هي الأخرى تنظر لها في عدم فهم!

- ضيفة مين يابني؟!

أشار بيده لتدخل، وحين دخلت كانت الصدمة! .. إتسعت عينا مريم لما رأته:

- نور؟!

يعلو صوت هاتفه وهو في سيارته متجهًا لعمله ليبدأ يوم روتيني سيطر عليه الملل من ازدحام الطرق، فلم يرغب في أن يرى من المتصل حتى، لكن إلحاح هاتفه جعل فضوله يدفعه للرد:

- آلو..

جاءه صوت سيدة لا يظن أنها صغيرة في العمر، بل تبدو في الخمسينات:

- أيوه .. معايا الأستاذ محمد سالم؟

- أيوه إتفضلي..
- معاك منى مديرة دار السعاده للرعايه..
- تحت أمرك.
- بعد إذن حضرتك.. ياريت تشرفنا النهارده ضروري.
- ليه؟
- لما حضرتك تشرفنا هتفهم كل حاجه.. أنا هبعت لحضرتك العنوان ف رساله دلوقتي وأتمنى توصل على طول.
- أنا للأسف رايح شغلي دلوقتي مش هقدر.
- الموضوع مايستناش.
- طيب إبعتيلي العنوان وهاجي على طول إن شاء الله.
- إن شاء الله يافندم. مع السلامه.

أغلق الخط وظلت رأسه تفكر في سبب ذلك الاتصال وما يحمله له من مفاجآت لا يعلم أستغير حاله للأفضل أم لا؟! لكن فضوله جعله يسرع للعنوان الذي أرسل له فور انتهاء المكالمة.

كان العنوان قريبًا منه، فوصل بعد أقل من ساعة وسأل عن مكتب المديرة، وكان هناك من ينتظره ليصاحبه للمكتب، وحين وصل للمكتب :

- حضرتك الأستاذ محمد؟

- أيوه أنا..

هبت مُنى ترحيبًا به.

- أنا آسفه إني جبت حضرتك فجأة كده.
- لا ولا يهمك.. بس أتمنى يكون خير.
- خير طبعًا إن شاء الله .. إتفضل أقعد.

بدأت مُنى الموضوع مباشرة بعد جلوسهما:

- حضرتك كنت متزوج واحده إسمها نور وكانت راجعه مع مامتها وعملت حادثه؟
- مظبوط.
- إيه اللي حصل بعد كده؟
- كل اللي حصل إن حد اتصل بيا من تليفون نور وقالي إنهم ف المستشفى اللي على الطريق وأنا روحت قالولي إن كل اللي ف الحادثة إتوفوا..
- طب ما سألتش على الجثث عشان إجراءات الدفن؟
- بصراحة لأ؛ لإن الصدمه كانت جامده عليا وكانت حالتي صعبه ووصلوني ع البيت.
- أنا آسفه.. هسأل حضرتك آخر سؤال:
- إتفضلي..
- المستشفى اللي حضرتك روحت سألت فيها دي.. تفتكر إسمها أو مكانها على الطريق بالظبط؟

- لأ الحقيقة مش فاكر إسمها.. بس هي كانت ف نص الطريق بين القاهره واسكندريه.
- يعني حضرتك سألت ف المستشفى اللي من ناحية اسكندريه مش القاهره؟
- تقريبًا.. هو أنا ممكن أفهم في إيه؟
- بعد ما الحادثه دي حصلت فعلًا نقلوا اللي كانوا ف العربيه للمستشفى دي والعدد كان كبير والمستشفى ماعندهاش إمكانيات كفايه للعدد باعتبار إنها للطوارئ بس وفعلًا جزء كبير اتوفوا وده اللي ملحقوش يسعفوه ونقلوا الجزء الباقي لمستشفى هنا ف القاهره.

مع كل كلمة تنطقها تزداد نبضات قلب محمد، لكنها مستمرة فيما ترويه:

- ومدام نور ووالدتها كانوا من ضمن اللي اتنقلوا للمستشفى دي لأن حالتهم كان ممكن تستنى.

وقف محمد من صدمته!

- يعني نور مراتي عايشه؟!
- إتفضل أقعد وأنا هكمل لحضرتك:

جلس محمد ثانية ونظراته تدل على رغبته في أن تقترب نهاية حديثها ليفهم.

- مدام نور إتوفت فعلًا ف الحادثه.. لكن مدام ماجده كانت عايشه وجتلنا هنا تاني يوم الحادثة وحكتلنا اللي حصل وقالت إنها مش فاكره أي مكان ليها واحنا قعدناها عندنا ف دار المسنين لحد ما نوصل لمعلومات عنها وماقدرناش

للأسف لإنها ماكانتش بتساعدنا إننا نوصل لأي حد يقربلها وهي مع الوقت قربت أوي من الناس هنا..

- وبعدين؟
- بس هي ماكانتش لوحدها.
- يعني إيه؟!
- كان معاها طفله صغيره لسه مولوده .. مدام نور إتوفت لإنها لما وصلت المستشفى كانت بتولد وماتت أثناء الولاده مش من الحادثه وقعدنا مدام ماجده ف مبنى المسنين وبنت حضرتك كانت ف مبنى الأيتام..

لم يتمالك محمد دموعه، فانهمرت منه رغمًا عنه.

- طب هما فين؟
- مدام ماجده إتوفت من شهرين لإنها كان عندها مشاكل ف القلب وكانت متوقعه إنها تتوفى في أي لحظه وقالت إن ماحدش يعرف موضوع مرضها ولقينا الجواب ده وسط حاجتها وكان لازم نقراه وعرفنا نوصل لحضرتك من خلاله لأنها كانت كاتبه شوية بيانات قدرنا من خلالها نعرف إن حضرتك زوج بنتها وإن ذكرى تبقى بنتك وإنها لو جرالها حاجه نوصل الطفله ليك وفهمنا إنها ماكانتش عايزاك توصل لبنتك لأنها مالهاش غيرها.. وبما إنها اتوفت وحضرتك موجود.. فأكيد حضرتك عايز بنتك تبقى معاك.
- طبعًا.. هي فين؟
- هتبقى معانا حالًا.

بمجرد أن انتهت من جملتها الأخيرة، كانت ذكرى قد وصلت مع أحد مسئولي الرعاية ليجدها نسخة من أمها. ظن أن نور هي من تقف أمامه، هرول إليها وضمها إليه وهو يبكي، فهو ما زال لا يصدق أن ابنته حية، فهي على كل حال جزء من نور، لا فرق بينهما، سواء الطول، لكن الملامح نفسها، ونظراتها وابتسماتها وبراءة وجهها.

ضحك محمد بعد أن سمع مريم:

- لأ مش نور .. بنتها .. ذكرى.

احتضنتها مريم وهي لا تصدق أن هذا يمكن أن يحدث! سألت مايسة عن أختها وعن نور، فروى محمد لهم ما حدث كله وهو يحتضن ذكرى بذراع ونورهان بالآخر .. مع كل كلمة يرويها تبدو عليهم علامات التعجب مما فعلته ماجدة! وكانت مايسة تبكي على أفعال أختها، فهي كل تلك السنين تفتقدها وتتألم بعد فراقها وهي ما زالت حية .. لماذا لم تبق ماجدة مع أختها تلك السنين؟ لماذا منعت ذكرى من عائلتها كل هذا؟!

روت ذكرى كل ما حدث معها في الدار، رعاية ماجدة لها وحبها للمكان، وأنها كونت صداقات كثيرة هناك، دائمًا كانت تسأل ماجدة عن والديها، لكن ماجدة تتهرب،

تجيبها عما يخص نور وتتهرب من أي شيء يخص والدها، رغم أن محمد كان يذكر اسم نور في كل موقف بينه وبين مريم، إلا أنها متأكدة أن وجود ذكرى ورعايتها لها سيقربه منها، فهي لم تكره نور أبدًا، لكنها لن تنسى أنها كانت حبه الأول .. وواجب عليها أن تعوض ذكرى عما فقدته في تلك السنوات من حنان أم وأب.

بعد يومين قرر محمد أن يسافر ليخبر والديه عن كل ما حدث، وكانت ذكرى تطلب منه أن ترى جديهما، فهي تشتاق للجميع رغم أنها لم ترهما من قبل.

ويتكرر المشهد ثانية .. سلمى تظن أن نور هي من تقف أمامها ووالداها لا يظهران أي رد فعل عند رؤيتهما لها حتى أخبرهما محمد بكل ما عرفه، وكان البيت كله سعيدًا لعودة ذكرى، حتى أبناء سلمى، رغم عدم إدراكهم، إلا أنهم أحبوا ذكرى على الفور.

طلب محمد من والدته أن ينفردا ليخبرها بشيء ما:

- فرحنالك والله يابني ربنا يباركلك فيها وف نورهان.
- يارب يا ماما ويباركلي فيكي.
- قول يا حبيبي عايزني ف إيه؟
- فاكره الخواطر اللي اديتهاني وأنا ف ثانوي لما سألتك إنتي وبابا اتعرفتوا إزاي؟

- آه طبعًا فاكره أنا الخواطر دي غاليه عندي أوي.
- أنا كنت بقراها كل شويه وكنت بكتب زيهم بعد ما اتخرجت وعايز آخد رأيك ف حاجه.
- قول يا محمد..
- أنا نفسي الناس كلها تعرف قصتك إنتي وبابا وازاي حبيتوا بعض بعد ما جدو أصر إنكوا تكملوا الجواز ويعرفوا قصتي أنا مع نور ومريم..
- طب ودي هتعملها إزاي؟
- هعملهم رواية وأنشرها.
- طب وهتمسيها إيه؟
- تسمحيلي أسميها ذكرى؟

تمت